د. عبد السلام البسيوني

خليل الله إبراهيم عليه السلام

رؤية مقارنة

من الهدي الرباني:

(ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين* إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين)

آل عمران:67–77

وفي سيرة ابن هشام:

حدثني بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل البيت يوم الفتح، فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم، فرأى إبراهيم عليه السلام مصورًا في يده الأزلام يستقسم بها، فقال: قاتلهم الله، جعلوا شيخنا يستقسم!

الإهداء:

إلى المقام المحمدي الأسنى

وإلى الجناب الإبراهيمي الأعلى

وإلى كل عشاق الطهر والبهاء والنقاء

إلى كل مؤمن في زمان تبرج الفساد والضلال والباطل

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، باسمه أبدأ، وبه أصول وأجول، وأرجو وأطمع، وعليه سبحانه التكلان:

اللهم اشهد عني واقبل مني: أنني لو أحببت أحدًا بكل جوارحي وعقلي وقلبي – بعد سيد الأولين والآخرين – فهو نبيك وخليلك الصِّدِّيق النبي ذو العزم إبراهيم، عليه وعلى محمد أزكي الصلوات وأسنى التسليمات:

اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد؛ كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد، وعلى آل محمد؛ كما باركت على آل إبراهيم في العالمين؛ إنك حميد مجيد!

إنه – في فهمي– الرجل الكامل خلقًا وخلقًا، دينًا وعلمًا، أسوة وهدًى، إحسانًا وتجردًا، صبرًا وجلدًا، دعوة وجهادًا، نصحًا وصدقًا، أبوة وبنوة، حياة وموتًا!

أنى نظرتُ لمَعلم من معالم شخصيته الفذة أصابني الدهشة والعجب والبهَر من عظيم عطاء الله إياه، وعظيم ما أعطى لدينه وذريته!

- وإلا فأي أب غيره نسل أنبياء؛ لا مجرد ذرية، وأخرج للعالمين محمدًا صلى الله عليه وسلم سيدي الأولين والآخرين، وأباه إسماعيل من جهة، وأنجب من جهة أخرى سلسلة من الكرام تضم إسحق ويعقوب ويوسف ومن بعدهم من الأسباط والأنبياء، عليهم جميعًا الصلوات الزاكيات، والتسليمات الطيبات!
- أي نبي أو رسول أو ملك مقرب أو صدِّيق – غيره – يديم الله دينه وملته ليوم القيامة؛ دينًا قِيمًا ونبراسًا هاديًا، ويجعله أسوة للصالحين المهديين؟!
- أي نبي أو رسول أو ملك مقرب أو صدِّيق – غير ابنه محمد صلى الله عليهما وسلم – نال ما نال من تمجيد وتكريم: الخلة، والسلام، والاتباع، وشهادات ربه العليم الخبير له: (ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه/ إن إبراهيم لحليم أواه منيب/ إنه كان صديقًا نبيًّا/ إذ جاء ربه بقلب سليم/ قد صدقت الرؤيا؛ إنا كذلك نجزي المحسنين/ سلام على إبراهيم/ وإبراهيم الذي وفّى.. وغيرها وغيرها.. مما سيأتي إن شاء الله تعالى!

- أي نبي أو رسول أو ملك مقرب أو صدِّيق – غير ابنه محمد صلى الله عليهما وسلم – أمرت آخرة الأمم بالصلاة والسلام والتبريك عليه وعلى آله تسع مرات كل يوم على أقل تقدير، نصيبًا مفروضًا!
- أي نبي أو رسول أو ملك مقرب أو صدِّيق – غيره – تنسبه الأديان الكبرى – سماوية الأصل – لنفسها مفاخرة مباهية، محبة، راضية، مستأثرة!؟
- أي نبي أو رسول أو ملك مقرب أو صدِّيق يحاج قومه عقلًا ويفاصلهم منهجًا، ويقوم وحده لله مولاه؛ متحديًا المواريث والعوائد والعقائد – بهذا الوضوح، وتلكم القوة، والمفاصلة في الله تعالى – حتى يكيدوا له كيدًا، ويلقوه في جحيم بشري يجعله الله عليه بردًا وسلامًا، وله حجة وبرهانًا!؟
- أي نبي أو رسول أو ملك مقرب أو صدِّيق – غيره – جُعلت مواقفه مشاعر، وعباداته شعائر بعد موته بثلاثة آلاف سنة – وإلى يوم الدين – لتصير عنوانا للتوحيد والجهر بالأكبرية والتلبية والتوحيد والإيمان!
- أي نبي أو رسول أو ملك مقرب أو صدِّيق – غيره – يؤذن في الناس بشعيرة ليحملها عنه الإنس والجن والكون كله، ليهرع الناس رجالًا وركبانًا وعلى كل ضامر، وكل طائر، وكل سابح؛ ملبين مكبرين موحدين منيبين مخبتين!؟
- أي نبي أو رسول أو ملك مقرب أو صدِّيق – غير الخليل عليه وعلى آخر أبنائه الرسل الصلاة والسلام – يملك من العزم أن يلقي رضيعه الذي وُهِبه على الكبر والشوق واللهفة في صحراء قفر، لا زاد ولا ماء؛ ثقة بالله وأمر الله وموعود الله!؟
- أي نبي أو رسول أو ملك مقرب أو صدِّيق – غيره – يأتمر بأمر الرب العليم الخبير فيتل ابنه للجبين، ويهم بذبحه بالسكين؛ فلا يمسكه إلا أمر ربه بالكف بعد أن صدّق الرؤيا، وائتمر بالوحي!؟
- أي نبي أو رسول أو ملك مقرب أو صدِّيق يدعو لذريته ما دعا، ويجاب له ما أجيب!؟

أي.. وأي.. وأي!؟

إنني والله أنَّى نظرت أصابني الدهش والعجب والبهَر من كمال شخصيته، وتوحيده ويقينه، وصبره وجهاده، وجلده، ودأبه، وصبره، وتجرده!

وإنني لفخور والله أنني ممن يتقربون إلى الله تبارك وتعالى بحبه، والاجتهاد في اتباعه، وإنني والله لأحلم وأطمع وأتمنى!

ومطمعي، بل حلمي، بل هاجسي قارئي الكريم – أنالني الله وأنالك من رحماته ورضوانه ومنَّه – أن يدخلني ربي الجنة، وأرى هذا النبي الداعية المجاهد الأب السبّاق في الفردوس الأعلى، أصحبك وأصحب المحبين لزيارته والأنس به، وابنه محمد صلى الله عليه وسلم – مرات ومرات ومرات – وننتقل بعدُ لزيارة السادة الأماجد أولى العزم، والأنبياء، والصديقين، والعلماء العاملين، الذين حُرمنا رؤيتهم في الدنيا، وأزعم – إن وافقتني – أن هذا من أنعم النعيم، وأكرم التكريم، وأرضى الرضوان؛ فمن جنة لجنة، ومن نعمة لنعمة، ومن أسوة لأسوة، ومن أمة لأمة! يا الله!

قل آمين، جعلني الله إليه من المرضيين!

اللهم لا تحرمنا فضلك ورضاك؛ على ذنوبنا الجمة، وتقصيرنا الفاحش، وعجزنا المخزي! أنت المنان الودود، ونحن عبيدك!

ثم أما بعد:

فيسعدني أن أخرج هذه الدراسة المختصرة المقارنة عن خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام، نفع الله بها، وجعلها مما ينفع الناس، ويمكث في الأرض؛ اللهم آمين، والحمد لله رب العالمين.

غرة رمضان 1436 د. عبد السلام البسيوني

مقدمة رقمية

مر في دراسة سابقة من عجائب إنصاف القرآن وموضوعيته أن (محمدًا) اسم سيدنا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم لم يرد في القرآن الكريم – على حجمه الكبير – غير أربع مرات، كما ورد باسم (أحمد) مرة واحدة، وما جاء سوى ذلك إنما هو ضمائر أو صفات أو أحوال، في حين أن أنبياء آخرين كموسى وعيسى (بأسمائهم وصفاتهم والضمائر العائدة عليهم) ذكروا أضعاف ما ذكر هو عليهم جميعًا أزكى الصلوات والتسليم؛ خصوصًا بأسمائهم، ولو كان له صلى الله عليه وسلم في التنزيل شيء لوضع اسمه في كل صفحة أو سطر، ولما كان هناك اسم أكثر من اسمه الكريم صلى الله عليه وسلم ورودًا!

ولما كنا سنتناول هنا أسماء السادة من أولى العزم: إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، في القرآن الكريم، فلأنظر هنا في بعض الأرقام المتعلقة بهم:

- ذكر سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام في القران الكريم تسعًا وستين مرة. ووردت باسمه سورة (هي رقم:14) من المصحف الشريف:
- وذكر اسم سيدنا موسى عليه السلام ستًّا وثلاثين ومائة مرة.
- وذكر النبي عيسى عليه السلام خمسًا وعشرين مرة وذكرت أمه عليها السلام – وهو معها غالبًا – في القرآن الكريم اثنتين وثلاثين مرة. ووردت سور تتعلق بهما بقوة، كسور مريم وآل عمران، والمائدة

= = وذكرت سور فيها حوادث فارقة معهم سميت بها مثل البقرة (في التوراة)، والقصص مع سيدنا موسى! والمائدة (العشاء الأخير في الإنجيل) عدا ما ورد عنهم في البقرة وآل عمران والمائدة والأنعام والأعراف والشعراء والقصص ويس والصافات وص وغافر والزخرف والشورى وغيرها!

وإيرادهم جميعًا عليهم جميعًا أزكى الصلوات والتسليم جاء في مقام التعظيم، والإكرام، والتبجيل، وفي مقام حب الله تعالى، وتوحيده، والدعوة إليه، والعبودية له تبارك وتعالى، لا على أنهم مقصرون دينيًّا، أو ناقصون ربانيًّا، أو أخلاقيًّا، أو بشريًّا، ولا على أنهم منحرفون زناة، أو شواذ، أو قتلة، أو مشركون، كما صورهم آخرون! فهل لهذه الأرقام والمعاني من دلالات؟ وهل تثير فكرًا حرًّا غير متعصب؟ وهل تفتح نافذة للتأمل الصحيح؟ أتمنى!

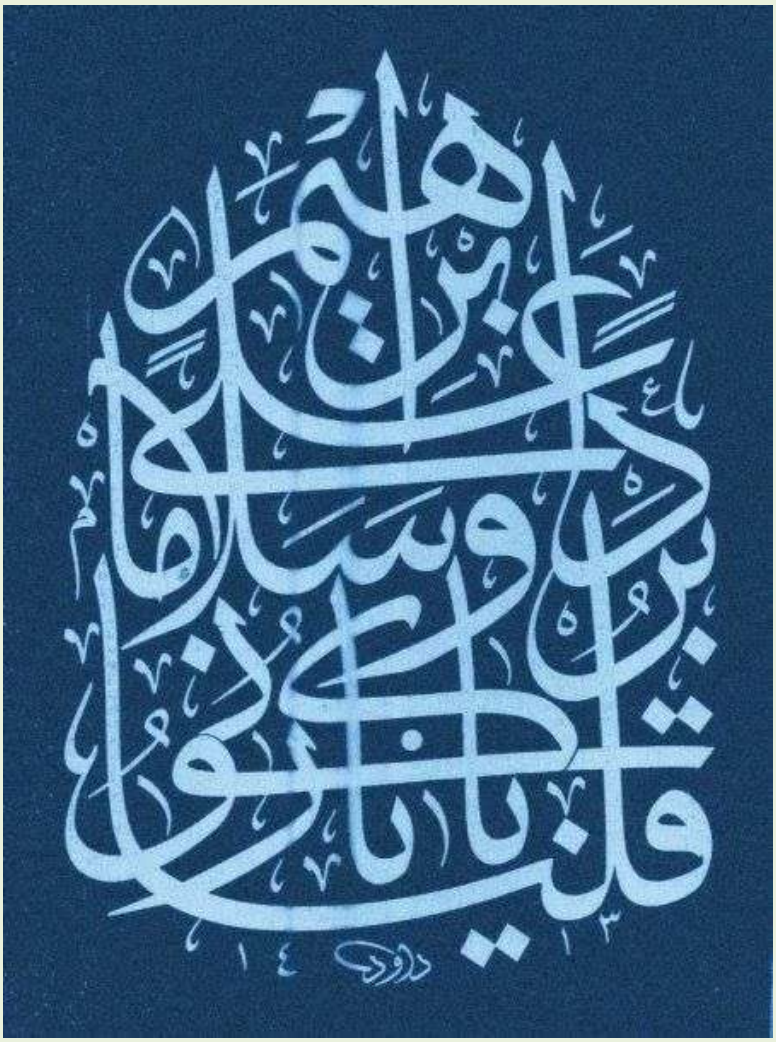
داود

الاصطفاء والتربية:

مسقط رأسه:

مع انتشار الحكايا غير الموثقة عن الأنبياء، وكثير من الأساطير، ادعت مدن كثيرة أن إبراهيم عليه السلام ولد بها، فذكر بعضهم أنه ولد بجزيرة العرب، في حوران النجدية، الواقعة على مسافة 300 كم تقريبًا جنوب مكة، وبعضهم يجعل ولادته في الحلة في العراق، وبعضهم يجعلها في أور السومرية بتل المقير جنوبي العراق، أو أورا الكردية، وبعضهم يجعلها في أورفه التركية، وبعضهم يجعلها في دول المغرب العربي الثلاث كما سيأتي!

وبذلك يدعيه أهل الجزيرة العربية، والعراقيون، والأكراد، والمغاربيون، والأتراك! وله في كل مكان من هذه الأماكن دعاوى لا تقوم عليها – في جملتها – براهين علمية، ولا نصوص وثيقة، ولا منطق مقنع، وله مقامات، ومعالم مقدسة، من الجبال، والبحيرات، والمباني، والمقابر والأضرحة!

ولو أخذنا مدينة أورفه، أو الرها في التسمية العربية مثلا، لوجدنا تصديقًا لما قلت: فهي تقع في جنوب شرق تركيا، وأغلب سكان مناطقها الحضرية من الأكراد، وهناك أقليات من أصول عربية وتركية وأرمينية يعيشون غالبًا في نواحي المدينة؛ فهي مقدسة بشكل ما، بسبب ما يُزعم أنها آثار الأنبياء، خصوصًا الخليل عليه السلام، إذ ولد فيها إبراهيم أبو الأنبياء عليهم السلام، وعاش فيها أيوب عليه السلام، وقدسها عيسى عليه السلام! وتعرف الآن باسم شانل أورفا، أي أورفا المقدسة، أو المكرمة! وهناك مسجد في المدينة بني فيما يظن أنه مكان ولادته عليه السلام!

وفيها عمودان مرتفعان يعتقد أن إبراهيم عليه السلام رُبط بينهما، ثم قذف به في النار العظيمة التي أشعلوها لحرقه!

كما أن بها بحيرة للأسماك يعتقدون أن بها سمكًا مقدسًا، فحين أشعلوا النار للخليل عليه السلام تدفقت مياه من مصدر ما وسط النيران، وأنقذته من الاحتراق، ثم تحولت المياه إلى بحيرة، وتحولت قطع الحطب إلى أسماك داخل البحيرة! ويقع حوالي البحيرة، التي يعيش فيها

مئات من سمك الشبوط، مسجد خليل الرحمن والرضوانية، إلى جانب مرافق سياحية متنوعة. ويقع شرق بحيرة الأسماك جامع مولد الخليل، الذي توجد في فنائه المغارة التي ولد فيها عليه السلام! http://forum.fazza.ae/showthread.php?t=385549

ومعظم الروايات التاريخية تشير إلى أنه ولد في أور القريبة من بابل بالعراق، (التي دمرتها قوات الاحتلال الأمريكي للعراق في السنين الأخيرة فيما دمر، والتي تنشئ معسكرات لها في هذه المنطقة التاريخية المهمة، إضافة إلى إقامة السواتر الترابية وحفر الخنادق وجرف الأرض، ناهيك عن إدخال آليات عسكرية ثقيلة إضافة إلى تواجد القوات العسكرية الأمريكية في مواقع أثرية؛ ما يؤثر بشكل مباشر على هذه المواقع، على الرغم من النداءات العالمية للقوات الأمريكية لإخلاء هذه المنطقة) كما ورد في الوحدة الأردنية!

ملامحه البدنية

الأصل في الأنبياء والمرسلين عليهم السلام العافية والسلامة مما يشين، أو ينفر، أو يسوء، ليكونوا أوعية مقبولة لتلقي الدعوة – والله أعلى وأعلم – مرضيين عند جمهرة الناس وعامتهم، وكذلك كان سيدنا الخليل عليه السلام مرضيًا في كل شيء، في مظهره ومخبره ،كما سيأتي.

وقد ذكر سيدي المصطفى أنه كان شديد الشبه بأبيه إبراهيم الخليل صلى الله عليهما وسلم، إلا فرقًا واحد، هو أن الخليل عليه السلام كان رجلا طوالًا، وكان محمد صلى الله عليه وسلم ربعة في القوم، والشبه لا يقتضي المطابقة!

وربما كان طوله الزائد هذا في الجنة، فقد ورد في البخاري عن سيدي سمرة رضي الله تعالى عنه، مرفوعًا: (أتاني الليلةَ آتِيانِ، فأتَينا على رجلٍ طويلٍ، لا أكاد أرى رأسَه طولًا، وإنه إبراهيم صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ)!

وفي البخاري عن سيدي ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (... أما إبراهيم فانظروا إلى صاحبِكم، وأما موسى فرجلُ آدَمُ جعدٌ، على جملٍ أحمرَ، مخطومٍ بخُلْبَةٍ، كأني أنظرُ إليه إذ انحدرَ في الوادي يُلبِّي)!

وفي مسلم عن سيدي جابر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (... وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء، فإذا موسى قائم يصلي، فإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنُوأة، وإذا عيسى بن مريم عليه السلام قائم يصلي، أقرب الناس به شبهًا عروة ابن مسعود الثقفي، وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يصلي، أشبه الناس به صاحبكم – يعني نفسه صلى الله عليه وسلم – فحانت الصلاة فأممتهم...)!

وفي الخصائص الكبرى للسيوطي بسند صحيح عن سيدي عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما: (..ليلة أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم دخل الجنة..... فمضى فلقيه شيخ جليل متهيب، فرحب به وسلم عليهم، وكلهم يسلم عليه، قال: من هذا يا جبرائيل؟ قال: هذا أبوك إبراهيم)!

وحتى نوضح هيئته عليه السلام يلزم أن نذكر هيئة ابنه محمد عليهما الصلاة والسلام، التي جمعها الإمام ابن كثير في البداية والنهاية في حديثه عن صفة وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر محاسنه، قال (باختصار مني كثير):

قال الإمام أحمد: حدثنا....عن سيدي علي رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺضخم الرأس، عظيم العينين، أهدب الأشفار، مشرب العينين بحمرة، كث اللحية، أزهر اللون، شثن الكفين والقدمين، إذا مشى كأنما يمشي في صعد، وإذا التفت التفت جميعًا.

وقال أبو يعلى: سيدي علي رضي الله تعالى عنه أنه سئل عن صفة النبي ﷺفقال: كان لا قصيرًا ولا طويلًا، حسن الشعر رجِله، مشربًا وجهه حمرة، ضخم الكراديس، شثن الكعبين والقدمين، عظيم الرأس، طويل المسربة، لم أر قبله ولا بعده مثله، إذا مشى تكفأ كأنما ينزل من صبب.

وقال محمد بن سعد عن الواقدي: عن سيدي علي رضي الله تعالى عنه قال: بعثني رسول الله ﷺإلى اليمن فإني لأخطب يومًا على الناس، وحبر من أحبار يهود واقف في يده سفر ينظر فيه، فلما رآني قال: صف لنا أبا القاسم.

فقال علي: رسول الله ليس بالقصير، ولا بالطويل البائن، وليس بالجعد القطط، ولا بالسبط، هو رجل الشعر أسوده، ضخم الرأس، (مشربا) لونه حمرة، عظيم الكراديس، شثن الكفين والقدمين، طويل المسربة – وهو الشعر الذي يكون من النحر إلى السرة – أهدب الأشفار، مقرون الحاجبين، صلت الجبين، بعيد ما بين المنكبين، إذا مشى تكفأ كأنما ينزل من صبب، لم أر قبله مثله ولا بعده مثله! قال علي: ثم سكت.

فقال لي الحبر: وماذا؟ قال علي: هذا ما يحضرني. قال الحبر: في عينيه حمرة، حسن اللحية، حسن الفم، تام الأذنين، يقبل جميعًا ويدبر جميعًا. فقال علي: والله هذه صفته. قال الحبر: وشيء آخر. قال علي: وما هو؟ قال الحبر: وفيه جناء. قال علي: هو الذي قلت لك؛ كأنما ينزل من صبب.

قال الحبر: فإني أجد هذه الصفة في سفر آبائي، ونجده يبعث في حرم الله وأمنه وموضع بيته، ثم يهاجر إلى حرم يحرمه هو، ويكون له حرمة كحرمة الحرم الذي حرم الله، ونجد أنصاره الذين هاجر إليهم قومًا من ولد عمر بن عامر أهل نخل، وأهل الأرض قبلهم يهود.

قال علي: هو هو، وهو رسول الله ﷺ.

قال الحبر: فإني أشهد أنه نبي، وأنه رسول الله إلى الناس كافة، فعلى ذلك أحيا وعليه أموت، وعليه أبعث إن شاء الله. قال: فكان يأتي عليًّا فيعلمه القرآن، ويخبره بشرائع الإسلام، ثم خرج علي والحبر من هنالك حتى مات في خلافة أبي بكر، وهو مؤمن برسول الله ﷺ مصدق به. وهذا المعنى متكرر في كتب السنة كلها، والله أعلم.

ولنا بعد هذا الوصف أن نتخيل كيف كانت هيئة خليل الرحمن عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، من حيث الطول والشكل والحركة والسمت، لا حرمنا الله رؤيته في الفردوس الأعلى؛ اللهم آمين.

وأبوه هو آزر كما نص القرآن الكريم: (وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصنامًا آلهة؟! إني أراك وقومك في ضلال مبين) الأنعام:74! قال في البداية والنهاية: وجمهور أهل النسب – منهم سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما – على أن اسم أبيه تارح، وأهل الكتاب يقولون: تارخ بالخاء المعجمة. فقيل: إنه لقب بصنم كان يعبده اسمه آزر، وقال ابن جرير، والصواب أن اسمه آزر، ولعل له اسمان علمان، أو أحدهما لقب، والآخر علم!

وكان الخليل عليه السلام أوسط أبناء أبيه، كما ورد في البداية والنهاية بسند صحيح مشهور، قالوا: ولما كان عمر تارخ خمسًا وسبعين سنة ولد له إبراهيم عليه السلام، وناحور، وهاران، وولد لهاران لوط. وعندهم أن إبراهيم عليه السلام هو الأوسط، وأن هاران مات في حياة أبيه في أرضه التي ولد فيها، وهي أرض الكلدانيين؛ يعنون أرض بابل، وهذا هو الصحيح المشهور عند أهل السير والتواريخ والأخبار، وصحح ذلك الحافظ ابن عساكر!

وقد اختتن عليه السَّلامُ، وهو ابنُ ثمانينَ سنةً، بالقَدَومِ، كما في البخاري عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

وقد أُنْزِلَت صُحفُ إبراهيم في أوَّلِ ليلةٍ من رَمضانَ، وأُنْزِلَتِ التَّوراةُ لِستٍّ مَضينَ منه، والإنجيل لثلاثَ عشرةَ خلَت من رمَضانَ، وأنزل اللَّه القرآنُ لأربعٍ وعشرينَ خَلَت منه، كما في عمدة التفسير لشاكر – وأشار في المقدمة إلى صحته – عن سيدي واثلة بن الأسقع الليثي رضي الله تعالى عنه!

هو عليه السلام مصطفىً مصنوعٌ على عين ربه تعالى:

من أهم مفاتيح شخصية هذا الإنسان النبي الرسول العظيم، أنه مصطفًى، اختاره ربه الحكيم الخبير: صنعه على عينه، وأدبه، ونشّأه على التوحيد والتسليم والإخبات، وسائر الخصال التي تليق بمن يكون أبًا للأنبياء عليهم السلام! وقد قال ربي تبارك وتعالى: (وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا، وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ) البقرة:130!

وقال فيه اصطفائه واصطفاء الأنبياء عمومًا؛ ليكونوا أهلًا لاحتمال الرسالات: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ، وَنُوحًا، وَآلَ إبراهيم، وَآلَ عِمْرَانَ على العالمين* ذرية بعضها من بعض) آل عمران:33!

وذكر سبحانه في ص/45-47 أن هؤلاء المصطفين أوتوا قوة في النفوس والجسوم والبصائر، وأن الله تعالى نقاهم، وصفى نفوسهم من كل شوب، وكل سوء: (واذكر عبادنا إبراهيم وإسحق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار* إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار* وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار).

وقد حباه الله تعالى خصائص ومواهب يجعله بها إمامًا، وأوصاه بالطاعات والمكرمات، فقال تبارك وتعالى: (وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ* وَوَهَبْنَا لَهُ إسحق، وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً؛ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ* وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا، وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَإِقَامَ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ، وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ) الأنبياء:71-73!

وهو الكريم عند الناس وعند رب الناس تبارك وتعالى؛ كما في البخاري عن سيدي ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، مرفوعًا: (الكريمُ، ابنُ الكريمِ، ابنِ الكريمِ، ابنِ الكريمِ، يوسفُ بنُ يعقوبَ بنِ إسحقَ ابنِ إبراهيم عليهم السَّلامُ)!

وكان من خير الناس – من الزوايا كلها– كما ورد في مسلم عن سيدي أنس رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: جاء رجلٌ إلى رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فقال: يا خيرَ البريَّةِ! فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: (ذاك إبراهيم عليه السلامُ)!

وكان صادق الكلام أبدًا – منذ نشأته – كما ورد في الترمذي عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، مرفوعًا: (لم يَكْذب إبراهيم علَيهِ السَّلامُ في شيءٍ قطُّ إلَّا في ثلاثٍ: قولِهِ: (إِنِّي سَقِيمٌ) – ولم يَكُن سَقيمًا – وقولُهُ لسارَّةَ: أختي، وقولِهِ: (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا) وهي ليست كذبات كما سيأتي، وحاشًا أبا الأنبياء أن يؤثر عنه كذب.

كان عليه السلام على بينة من ربه تعالى:

مما ورد في منهجه، الفهم والتأمل والاستدلال الدائم، حتى إنه سأل ربه تبارك وتعالى كيف يحيي الموتى، كما في البقرة:260: (وإذ قال إبراهيم: رب أرني كيف تحيي الموتى! قال: أولم تؤمن! قال: بلى؛ ولكن ليطمئن قلبي! قال: فخذ أربعة من الطير، فصرهن إليك، ثم اجعل على كل جبل منهن جزءًا، ثم ادعهن يأتينك سعيًا، واعلم أن الله عزيز حكيم)!

وليس المراد بالشك ما قد يفهمه من لا علم عنده، كما الإمام ابن كثير رحمه الله، فهو أبصر الناس – في زمنه – بالله، وأعلمهم بالله، وأتقاهم وأخشاهم؛ قال في التحرير والتنوير: فإن إبراهيم عليه السلام – لفرط محبته الوصول إلى مرتبة المعاينة في دليل البعث – رام الانتقال من العلم النظري البرهاني، إلى العلم الضروري، فسأل الله أن يريه إحياء الموتى بالمحسوس!

لقد كان ينشد اطمئنان الأنس إلى رؤية يد الله تعمل؛ واطمئنان التذوق للسر المحجب وهو يجلى ويتكشف!

ولقد كان الله يعلم إيمان عبده وخليله! ولكنه سؤال الكشف والبيان، والتعريف بهذا الشوق وإعلانه، والتلطف من السيد الكريم الودود الرحيم، مع عبده الأواه الحليم المنيب!

وقد سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم سؤاله شكًّا – تنزلًا في العبارة – حين قال، كما روى البخاري عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، مرفوعًا: (نحن أحق بًالشك من إبراهيم؛ إذ قال: (رب أرني كيف تحيي الموتى، قال: أو لم تؤمن؟ قال: بلى؛ ولكن ليطمئن قلبي)!

وفي البخاري أيضًا عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، مرفوعًا: (رحمُ اللهُ لوطًا، لقد كان يأوي إلى ركنٍ شديدٍ، ولو لبثتُ في السجنِ ما لبثَ يوسفُ لأجبتُ الداعيَ، ونحن أحقُّ من إبراهيم إذ قال له: (أَوَلَمْ تُؤْمِن؟ قَالَ: بَلَى؛ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي)!

ومدحه الله تعالى وزكاه وباركه عليه السلام:

ومن أعظم ما أوتي هذا النبي العظيم، تزكية الله تعالى له، وشهادته بفضله، وثناؤه الكثير عليه، فهو الموحد المسلم، الأواه المنيب، القدوة المتبع، الشاكر المجتبى، الصالح المهتدي، الصديق النبي، سليم القلب، القوي الأيِّد، المنعَم عليه، الذي وفى! وغير ذلك مما قال سبحانه فيه، فتأمل الآيات فيه عليه السلام:

- (إِنَّ إبراهيم لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ) هود عليه السلام:75!
- (إن إبراهيم كان أمة، قانتًا لله حنيفًا، ولم يك من المشركين* شاكرًا لأنعمه، اجتباه، وهداه إلى صراط مستقيم* وآتيناه في الدنيا حسنة، وإنه في الآخرة لمن الصالحين) النحل:120-121!
- (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إبراهيم؛ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا) مريم عليها السلام:41!
- (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ، وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ، وَمِن ذُرِّيَّةِ إبراهيم، وَإِسْرَائِيلَ، وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا؛ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا) مريم:58!
- (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إبراهيم* إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ* قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ* قَالَ: هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ* أَوْ يَنفَعُونَكُمْ، أَوْ يَضُرُّونَ* قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ* قَالَ: أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ* أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ* فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ) الشعراء:69-77!
- (وَإِنَّ من شِيعَتِهِ لَإبراهيم* إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) الصافات:83-84!
- (سَلَامٌ عَلَى إبراهيم) الصافات:109!
- (وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إبراهيم وَإسحق وَيَعْقُوبَ أُولِي الأَيْدِي) ص:45!
- (وَإبراهيم الَّذِي وَفَّى) النجم:37!

وكان عليه السلام مجاب الدعوة:

ولخلوص نفسه ونقاء روحه كان عليه السلام مجاب الدعوة، فقد اشتهى الولد – على كبر – فأعطاه الله تبارك وتعالى سؤله؛ رحمة منه وبركة عليه، كما ورد في هود عليه السلام/71-73: (وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإسحق ومن وَرَاءِ إسحق يَعْقُوبَ* قَالَتْ: يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ، وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا!؟ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ* قَالُوا أَتَعْجَبِينَ من أَمْرِ اللَّهِ؛ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ)!

ومثلها في الحجر/ 51-56: (وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إبراهيم* إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا: سَلَامًا، قَالَ: إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ* قَالُوا: لَا تَوْجَلْ؛ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ* قَالَ: أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مسَّنِيَ الْكِبَرُ؟! فَبِمَ تُبَشِّرُونَ* قَالُوا: بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ* قَالَ: وَمَنْ يَقْنَطُ من رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ)!

وفي الصافات/99-101: (وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ* رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ* فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ)! ثم زاده الله تعالى من فضله – بعد إسماعيل – إسحق ويعقوب عليهم السلام نافلة، كما في سورة الأنبياء عليهم السلام/72-73: (ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة، وكلا جعلنا صالحين* وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا، وأوحينا إليهم فعل الخيرات، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وكانوا لنا عابدين)!

بل خصه الله تعالى بخصيصة لم يؤتها أحد من الأنبياء قبله ولا بعده عليهم السلام، فجعل من ذريته أنبياء ومرسلين، ليصطفي منهم في النهاية سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم!

كما قال تعالى في العنكبوت/27: (ووهبنا له إسحق ويعقوب، وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب، وآتيناه أجره في الدنيا، وإنه في الآخرة لمن الصالحين)! وكما في الحديد/26: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإبراهيم وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ والكتاب) فقد أوتي حسنة الدنيا، وحسنة الآخرة، وصار الأنبياء من بعده من ذريته خاصة، فمن ذا يطاوله في الشرف؟! وفي مسلم وغيره عن سيدي واثلة ابن الأسقع الليثي رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: (إنَّ اللَّهَ اصطَفى من ولدِ إبراهيم إسماعيل، واصطَفى مِن بَني إسماعيل بَني كِنانةَ، واصطَفى من بَني كنانةَ قُرَيْشًا، واصطَفى مِن قُرَيْشٍ بَني هاشمٍ، واصطَفاني مِن بَني هاشمٍ) فاللهم صل على المصطفين الأخيار، وعلى سيدهم سيد المرسلين الأطهار!

وأكرمه الله وأعطاه عليه السلام ما لم يعط غيره:

ولم يعطه الله تعالى الذرية الأنبياء فقط؛ بل أعطاه مزايا وعطايا تبهر النفوس: فقد جعله إمام البشرية بعده، وجعل البيت الذي رفعه مثابة للناس، ومقامه مصلًّى، ووكل إليه تطهير بيوت الله (ممثلة في حرم الله الشريف) من الرجس والشرك، فقال تعالى في البقرة/124-125: (وَإِذِ ابْتَلَىٰ إبراهيم رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنّ، قَالَ: إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا، قَالَ: وَمن ذُرِّيَّتِي؟ قَالَ: لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ* وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا، وَاتَّخِذُوا من مَقَامِ إبراهيم مُصَلًّى، وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إبراهيم وَإسماعيل أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ)! ويا له من تشريف!

وفي آل عمران/96-97! جعل مقامه من آيات التوحيد ومواضع الأمن: (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا، وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ* فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ؛ مَقَامُ إبراهيم، وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا)!

وفي النساء/54، آتاه الله تعالى وذريته الرسالة، والحكمة والملك بما يعنيه من القوة والسعة والبسطة: (فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إبراهيم الْكِتَابَ، وَالْحِكْمَةَ، وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا)!

وفي الأنعام/75 يهديه سبحانه لمنهج دعوي توحيدي شديد الإقناع: (وَكَذَلِكَ نُرِي إبراهيم مَلَكُوتَ السموات وَالأَرْضِ)! قال الإمام الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: نبين له وجه الدلالة في نظره إلى خلقهما على وحدانية الله، عز وجل، في ملكه وخلقه، وإنه لا إله غيره ولا رب سواه، كقوله تعالى: (قل انظروا ماذا في السموات والأرض) يونس: 101، وقوله سبحانه: (أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض) الأعراف: 185،

وقوله تعالى: (أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض: إن نشأ نخسف بهم الأرض، أو نسقط عليهم كسفًا من السماء؛ إن في ذلك لآية لكل عبد منيب) سبأ:9!

كما آتاه الله تعالى الحجج اللفظية والعقلية البالغة، رفعةً له وإعزازًا؛ كما قال تبارك وتعالى في الأنعام/83: (وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إبراهيم عَلَى قَوْمِهِ، نرفع درجات من نشاء)! وفي سورة الأنبياء عليهم السلام:51: (وَلَقَدْ آتَيْنَا إبراهيم رُشْدَهُ منقَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ)!

وفي يوسف عليه السلام:6! يمن الكريم عليه بأنه أتم عليه الفضل وأسبغ النعم، فقال تبارك وتعالى: (وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ، وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ، وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ، وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ؛ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إبراهيم وَإسحق؛ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)!

وفي النحل:120-122! يمن الكريم عليه بأنه أعطاه حسنات الدنيا، وحسنات الآخرة، بحبه ربّه وتوحيده إياه: (إن إبراهيم كان أمة قانتًا لله، حنيفًا، ولم يك من المشركين* شاكرًا لأنعمه اجتباه، وهداه إلى صراط مستقيم* وآتيناه في الدنيا حسنة، وإنه في الآخرة لمن الصالحين)!

ومن أعجب العطايا أن أمرنا الله تعالى بالصلاة والتبريك عليه إلى يوم الدين – في الصلاة لزومًا – تسع مرات يوميًّا، وبشكل مفتوح سائر اليوم! ففي البخاري عن سيدي أبي سعيد رضي الله تعالى عنه، قُلْنا: يا رسولَ اللهِ، هذا السلامُ علَيكَ، فكيفَ نُصَلِّي علَيكَ؟ قال: (قولوا: اللهم صلِّ على مُحمدٍ عبدِك ورسولِك، كما صليْتَ على إبراهيم، وبارِكْ على مُحمدٍ، وعلى آلِ مُحمدٍ، كما بارَكْتَ على إبراهيم وآلِ إبراهيم) بل إنه صلى الله عليه جعل هذه الصيغة أكمل صيغ السلام عليه بأبي هو وأمي.

بل إن هذه الصلاة سبيل للشهادة لصاحبها والشفاعة لها، كما روى الحافظ السخاوي في القول البديع بسند حسن مرفوع: (مَن قال: اللَّهمَّ صلِّ على محمَّدٍ وعلى آلِ محمَّدٍ، كما صلَّيتَ على إبراهيم وآلِ إبراهيم، وبارِك على محمَّدٍ وعلى آلِ محمَّدٍ كما بارَكتَ على إبراهيم وآلِ إبراهيم، وتَرَحَّم على محمَّدٍ وعلى آلِ محمَّدٍ كما ترحَّمتَ على إبراهيم وآل إبراهيم، شَهِدتُ لهُ يومَ القيامةِ بالشَّهادةِ، وشفعتُ لَه)!

ومما اختصه الله به: اتخاذه خليلًا؛ فعن سيدي ابنِ عبَّاسٍ – رضِي اللهُ عنهما – قال: (إنَّ اللهَ اصطفَى إبراهيم بالخُلَّةِ، واصطفَى موسَى بالكلامِ، واصطفَى محمَّدًا – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – بالرُّؤيةِ) التوحيد لابن خزيمة، وأشار في المقدمة أنه صح وثبت بالإسناد الثابت الصحيح!

وقد أدرك ذلك المعنى رجل فتح الله بصيرته، فغبط سيدنا إبراهيم على الخلة التي نالها من ربه تعالى؛ ففي البخاري عن سيدي عمرو بن ميمون أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بعَث سيدي مُعاذًا رضي الله تعالى

عنه إلى اليمَنِ، فقرَأ مُعاذٌ في صلاةِ الصبحِ سورةَ النساءِ، فلما قال: (وَاتَّخَذَ اللهُ إبراهيم خَلِيلًا) قال رجلٌ خلفَه: قَرَّتْ عينُ أمِّ إبراهيم!

وكما أنه كريم على الله تعالى وعباده في الدنيا، فهو كريم على ربه عز وجل في الآخرة؛ ففي الصحيحين عن سيدي عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما، قال: قام فينا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ خطيبًا بموعظةٍ. فقال: (يأيها الناسُ! إنكم تُحشرون إلى اللهِ حفاةٌ عراةٌ غرلًا (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ، وَعْدًا عَلَيْنَا، إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ) الأنبياء: 104، ألا وإنَّ أول الخلائقِ يُكسى، يومَ القيامةِ، إبراهيم عليهِ السلامُ) الحديث!

ومن حب رسول الله صلى الله عليه وسلم إياه سمى ابنه به؛ ففي مسلم عن سيدي أنس رضي الله تعالى عنه، مرفوعًا: (وُلِدَ ليَ اللَّيلةَ غلامٌ فسمَّيتُهُ باسمِ أبي إبراهيم) ثمَّ دفعتُهُ إلى أمِّ سيفٍ امرأةِ قينٍ يقالُ لَهُ: أبو سيفٍ، فانطلقَ يأتيهِ، واتَّبعتُهُ، فانتَهينا إلى أبي سيفٍ وَهوَ ينفخُ بِكيرِهِ، قدِ امتلأَ البيتُ دخانًا، فأسرعتُ المشيَ بينَ يدي رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ، فقلتُ: يا أبا سيفٍ: أمسِك؛ جاءَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ، فأمسَكَ، فدعا النَّبيُّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ بالصَّبيِّ فضمَّهُ إليْهِ، وقالَ ما شاءَ اللَّهُ أن يقولَ...)!

وكانت سيدتي أم المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله تعالى عنها تحلف برب إبراهيم تحببًا وتدللًا، كما في مسلم مرفوعًا: (إني لأعلمُ إذا كنت عني راضيةً، وإذا كنت عليّ غضبى) قالت: فقلتُ: ومن أين تعرفُ ذلك؟ قال صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ: (أما إذا كنت عني راضيةً، فإنك تقولين: لا، وربِّ محمدٍ! وإذا كنتِ غضبى، قلت: لا. وربِّ إبراهيم! قالت: قلتُ: أجل. واللهِ يا رسولَ اللهِ! ما أهجر إلا اسمك)!

كانت ثمة بقايا على دين إبراهيم في بعض الحنفاء من العرب:

بَعُد العهد بدين الخليل إبراهيم عليه السلام، فخرج اليهود عن ملته، وابتعد النصارى عن توحيده، وانقرض دينه من جزيرة العرب، حتى لم يبق منه إلا بقايا في صدور بعض من سموا بالحنفاء، الذين كان لهم نوع من التأله، والإيمان بإله واحد خالق أعلى، دون أن تكون معالم توحيدهم واضحة!

ففي البخاري عن سيدتي أسماء بنت الصديق رضي الله تعالى عنهما قالت: رأيتُ زيدَ بنَ عمرِو ابنِ نُفَيْلٍ قائمًا، مُسندًا ظهرهُ إلى الكعبةِ، يقولُ: يا معاشرَ قُرَيشٍ: واللهِ ما منْكم على دين ِإبراهيم غَيري! وكان يُحْيي المَوْؤودَةَ، يقول للرجُلِ إذا أرادَ أنْ يَقتُلَ ابْنَتَهُ: لا تَقْتُلْها، أنا أكْفيكَها مَؤونَتَها، فيأْخُذُها، فإذا تَرَعرَعَتْ، قال لأبيها: إنْ شئْتَ دفَعْتُها إليكَ، وإنْ شئتَ كَفَيتُكَ مَئونَتَها!

وفي البخاري عن سيدي ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنَّ زيدَ بنَ عَمْرِو بنِ نُفَيْلٍ خرجَ إلى الشَّأْمِ، يسألُ عنِ الدِّينِ ويَتْبَعُهُ، فلقيَ عالمًا منَ اليَهودِ فسألهُ عنْ دينِهِمْ، فقال: إني لعَلِّي أنْ أدينَ دينَكمْ فأخْبِرْني، فقال: لا تكونُ علَى دينِنا حتى تأخُذَ بِنَصيبِكَ منْ غضَبِ اللَّهِ، قال زيدٌ: ما أفِرُّ إلا منْ غضَبِ اللَّهِ، ولا أحْملُ منْ غضَبِ اللَّهِ شيئًا أبدًا، وأنَّى أسْتَطيعُهُ؟ فهلْ تَدُلُّني علَى غيرِهِ؟

قال: ما أعلَمُهُ إلا أنْ يكُونَ حَنيفًا، قال زيدٌ: وما الحنيفُ؟

قال: دينُ إبراهيم، لمْ يكُنْ يهوديًّا ولا نصرانيًّا ولا يعبُدُ إلا اللَّهَ.

فخرجَ زيدٌ، فلَقيَ عالمًا منَ النَّصارَى فذكر مثلَهُ، فقال: لنْ تكونَ على ديننا حتَّى تأْخُذَ بنَصيبِكَ منْ لَعنَةِ اللَّهِ، قال: ما أفِرُّ إلا منْ لَعنَةِ اللهِ، ولا أحْمِلُ من لَعنَةِ اللهِ، ولا منْ غَضَبِهِ شَيئًا أبدًا، وأنَّى أستَطيعُ؟ فهل تَدُلُّني علَى غيرِهِ؟ قال: ما أعلمُهُ إلا أنْ يكونَ حَنيفًا،

قال:وما الحَنيفُ؟ قال: دينُ إبراهيم لمْ يكنْ يهوديًّا ولا نصرانيًّا، ولا يعبُدُ إلا اللهَ!

فلمَّا رأى زيدٌ قوْلهُم في إبراهيم عليْهِ السَّلامُ خرجَ، فلما بَرَزَ رفَعَ يدَيْهِ، فقال: اللَّهُمَّ إني أشْهَدُ أني علَى دينِ إبراهيم.

وكان من الحنفاء قس بن ساعدة الإيادي الذي مات قبل البعثة بنحو 23 سنة، وقد تحدث عنه ابن كثير طويلاً في البداية والنهاية، ومما أورده عنه حديث غريب الإسناد: عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: لما قدم وفد إياد على النبي ﷺ قال: (يا معشر وفد إياد: ما فعل قس بن ساعدة الإيادي)؟! قالوا: هلك يا رسول الله! قال ﷺ: (لقد شهدته يومًا بسوق عكاظ على جمل أحمر، يتكلم بكلام معجب مونق لا أجدني أحفظه)! فقام إليه أعرابي من أقاصي القوم فقال: أنا أحفظه يا رسول الله.

قال: فسر النبي ﷺ بذلك قال: فكان بسوق عكاظ على جمل أحمر وهو يقول: يا معشر الناس اجتمعوا؛ فكل من فات فات، وكل شيء آت آت، ليل داج، وسماء ذات أبراج، وبحر عجاج، نجوم تزهر، وجبال مرسية، وأنهار مجرية، إن في السماء لخبرا، وإن في الأرض لعبرا، ما لي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون، أرضوا بالإقامة فأقاموا، أم تركوا فناموا، أقسم قس بالله قسمًا لا ريب فيه إن لله دينًا هو أرضى من دينكم هذا، ثم أنشأ يقول:

في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردًا للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها يمضي الأصاغر والأكابر
لا من مضى يأتي إليك ولا من الباقين غابر
أيقنت أني لا محالة حيث صار القوم صائر

ومما ينسب له أيضًا، وفيه – إن صح – إيمان بالبعث:

يا ناعي الموت والملحود في جدث	عليهم من بقايا قولهم خِرَق
دعهم فإن لهم يومًا يصاح بهم	فهم إذا انتبهوا من نومهم أرقوا
حتى يعودوا بحال غير حالهم	خلقًا جديدًا كما من قبله خلقوا
منهم عراة.. ومنهم في ثيابهم	منها الجديد ومنها المنهج الخلق

وعن الحنفاء جاء في موقع الكعبة (بتصرف يسر): (لم يكن في بلاد العرب حنفاء يؤمنون بالله وحده، ويعبدونه بما شرع مخلصين له في ذلك، اللهم إلا ما كان من زيد بن عمرو بن نُفيل، الذي قال فيه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: (إنه يبعث يوم القيامة أمة وحده) فقد كان ينكر أعمال أهل الجاهلية، ويُصرّح ببطلان دين قريش، ويقول لهم: والذي نفس زيد بن عمرو بيده ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيري. وقال محمد بن إسحق: لقد حدثت أن سعيد بن زيد، وعمر بن الخطاب قالا لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: أنستغفر لزيد بن عمرو بن نفيل؟ قال ﷺ: (نعم، فإنه يبعث أمة وحده)!

ومصداق هذا في حديث مسلم مرفوعًا: (إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم: إلا بقايا من أهل الكتاب) فهذا دليل أنه ما بعث النبي الحبيب محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ وفي العرب رجل واحد على دين صحيح يعبد به الله تعالى.

أما اليهود، والنصارى فكان فيهم بقايا يعبدون الله تعالى بدين صحيح من دين موسى وعيسى عليهما السلام، لكنهم قليل جدًّا لا يتم على أيديهم هداية الناس وإصلاحهم.

وأما ورقة بن نوفل فدان بالنصرانية، ومات قبل بدء الدعوة! وأما عبيد الله بن جحش ابن رئاب فأسلم أول الأمر؛ ثم تنصر في الحبشة لما هاجر إليها مع المسلمين، وخلف زوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان، فتزوجها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ،. وأما عثمان بن الحويرث فقدم الشام وتنصر. فهؤلاء الأربعة كانوا ينكرون على قريش عبادة الأوثان، وكانوا يُصَرِّحوُن بأنهم على دين إبراهيم عليه السلام؛ إلا أنهم في آخر الأمر ماتوا على غير الحنيفية؛ إلا ما كان من زيد ابن عمرو بن نُفيل وورقة بن نوفل. ويؤكد ذلك إذن النبي صلى الله عليه وسلم لولد زيد ابن عمرو وعمر بن الخطاب بالاستغفار له، وأخبر أنه يبعث يوم القيامة أمة وحده) رحمه الله تعالى!

القدوة:

هو عليه السلام أسوة للأمة ونبيها عليهما السلام:

وقد جعل الله تعالى ملته ومنهجه وشخصيته أسوة، ومنهجًا، وأسلوب دعوة للأنبياء من بعده؛ فكلهم موحد، وكلهم صابر، وكلهم حدب على قومه مشفق، وكلهم هادٍ إلى سواء الصراط، وعليه فلا يزيغ عن منهجه إلا منحرف ضال.

وهو في اليهودية نبي معتبر، بل يعتبرونه أبا اليهود واليهودية –كما سيأتي – وهو عند النصارى نبي معتبر، وهو في الإسلام أبو الأنبياء على السلام، فهو الوحيد المتفق عليه بين أهل الأديان السماوية؛ إذ إن اليهود يعترفون به ولا يعترفون بعيسى ومحمد عليهم السلام، والنصارى يقرون بنبوة موسى لا يقرون بنبوة محمد صلى الله عليهما وسلم، بينما يقر الإسلام بالثلاثة رسلًا كرامًا من أولي العزم، بل إن لمحمد صلى الله عليه وسلم خصوصية فيه، ففي صحيح الجامع عن سيدي عبادة رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: (أنَا دَعوَةُ إبراهيم، وكان آخِرَ مَن بُشِّرَ بِي عِيسَى ابنُ مَريَمَ)!

وكان الخليل عليه السلام قد دعا ربه تبارك وتعالى، بعد أن رفع قواعد البيت، وطهره، ودعا للبلد الحرام بالأمن والرزق – دعا: (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ، يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ، وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ، وَيُزَكِّيهِمْ؛ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ) 129:البقرة!

وبدأ الشبه من المبتدأ، ففي صحيح الأدب المفرد عن سيدي عبدة بن حزن رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: (بُعِثَ موسَى وهوَ راعى غنَمٍ، وبُعِثَ إبراهيم وهوَ راعى غنَمٍ، وبُعِثْتُ أنا وأنا أرعَى غنمًا لأهلي بأجيادٍ)!

وقد جعل رب العالمين اتباع منهج إبراهيم عليه السلام ومعتقده ودعوته دليل رشاد وهدى؛ كما قال تعالى/ البقرة–130: (وَمَن يَرْغَبُ عَن مِلَّةِ إبراهيم إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ؟! وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا، وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ)!

وفي البقرة:135-136 جعل العليم الخبير ملته الحنيفية منهجًا لأنبياء والمهتدين من بعده إلى يوم الدين: (وَقَالُوا: كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا! قُلْ: بَلْ مِلَّةَ إبراهيم حَنِيفًا، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ* قُولُوا: آمَنَّا بِاللَّهِ، وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا، وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إبراهيم وَإسماعيل وَإسحق وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ، وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ، وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن ربِّهِمْ، لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)!

ومثلها في آل عمران:95: (قُلْ: صَدَقَ اللَّهُ؛ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إبراهيم حَنِيفًا، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ).

وفي النساء/125: (وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ – وَهُوَ مُحْسِنٌ – وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إبراهيم حَنِيفًا، وَاتَّخَذَ اللَّهُ إبراهيم خَلِيلًا).

ومثلها في النحل/123: (ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إبراهيم حَنِيفًا)!

وفي الأنعام/90 يأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم باتباعه واتباع الأنبياء قبله في مناهجهم التوحيدية والعبادية والدعوية، فيقول تعالى: (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ)!

بل هي وصية إبراهيم عليه السلام لذريته: كما قال تعالى/ البقرة–130-132: (وَمَن يَرْغَبُ عَن مِلَّةِ إبراهيم إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ؟! وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا، وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ* إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ: أَسْلِمْ، قَالَ: أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ* وَوَصَّى بِهَا إبراهيم بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ: يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ؛ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مسلمون)!

بل يجعل سبحانه الأحقية في اتباع الخليل لمحمد صلى الله عليه وسلم وأتباعه، كما في آل عمران/68: (إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإبراهيم لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ)!

بل يأمره سبحانه أن يجهر بهذا ويعلنه: (قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ، وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا، وَمَا أُنزِلَ عَلَى إبراهيم) آل عمران:84!

ومثلها في آل عمران:95: (قُلْ: صَدَقَ اللَّهُ؛ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إبراهيم حَنِيفًا، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ).

بل كان أسوة للأنبياء من بعده عليهم جميعًا الصلاة والسلام:

ولا شك أن كل من جاء بعده من المرسلين والأنبياء قد نهجوا نهجه، واتبعوا ملته! وقد أعلن ذلك يعقوب عليه السلام وذريته، كما في البقرة/133: (أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ؛ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ: مَا تَعْبُدُونَ من بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إبراهيم وَإسماعيل وَإسحق؛ إِلَٰهًا وَاحِدًا، وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)!

وكما أعلنها يوسف عليه السلام/38: (وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إبراهيم وَإسحق وَيَعْقُوبَ؛ مَا كَانَ لَنَا أَن نشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ، ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ، وَلَٰكِنَّ أكثر النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ)

وكما أُمر محمد صلى الله عليه وسلم وتابعوه بإحسان: (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه؛ إذ قالوا لقومهم: إنا برآء منكم، ومما تعبدون من دون الله، كفرنا بكم، وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدًا – حتى تؤمنوا بالله وحده – إلا قول إبراهيم لأبيه: لأستغفرن لك، وما أملك لك من الله، من شيء ربنا عليك توكلنا، وإليك أنبنا،وإليك المصير* ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا، واغفر لنا ربنا؛إنك أنت العزيز الحكيم* لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة؛ لمن كان يرجو الله، واليوم الآخر، ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد) الممتحنة:4–6!

وقد اتبع محمد صلى الله عله وسلم منهجه في رحمة الأمة – حتى الكفرة – ففي مسلم عن سيدي ابن عمرو رضي الله عنهما أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ تلا قولَ اللهِ عزَّ وجلَّ في إبراهيم: (رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) إبراهيم / 36!

وقال عيسى عليه السلام: (إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ، وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) المائدة:118، فرفعَ يديهِ وقال اللهمَّ! أُمَّتي أُمَّتي وبكى. فقال اللهُ عزَّ وجلَّ: يا جبريلُ! اذهب إلى محمدٍ – وربُّكَ أعلمُ –فسَلهُ ما يُبكيكَ؟ فأتاهُ جبريلُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ فسَألهُ، فأخبرهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بما قالَ – وهو أعلمُ – فقال اللهُ: يا جبريلُ! اذهبْ إلى محمدٍ فقلْ: إنَّا سنُرضيكَ في أُمَّتكَ ولا نَسُوؤكَ)! واتبعه في معظم شريعته كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

ونحن أولى به وبالأنبياء عليهم السلام:

كما في آل عمران/68: (إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإبراهيم لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ، وَهَٰذَا النَّبِيُّ، وَالَّذِينَ آمَنُوا، وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ)!

وفي البقرة/ 136: (قُولُوا: آمَنَّا بِاللَّهِ، وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا، وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إبراهيم وَإسماعيل وَإسحق وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ، وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ، وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَبِّهِمْ، لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)!

ومثلها في آل عمران:95: (قُلْ: صَدَقَ اللَّهُ؛ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إبراهيم حَنِيفًا، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)!

صاحب الملة:

هو عليه السلام أساس الإسلام وأبو المسلمين:

وقد ذكر أصدق القائلين تبارك وتعالى أن الخليل عليه السلام هو من سمانا المسلمين؛ كما في الحج/78: (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ؛ هُوَ اجْتَبَاكُمْ، وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ من حَرَجٍ؛ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إبراهيم، هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ، وَفِي هَٰذَا....)!

وحين أرسل عليه السلام كان أهل الأرض كفارًا مشركين؛ غيره هو، ففي العرش للحافظ الذهبي رحمه الله بسند حسن عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، مرفوعًا: (لمَّا أُلقيَ إبراهيم صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ في النارِ قال: اللَّهمَّ إنَّكَ واحدٌ فى السماءِ، وأنا واحدٌ فى الأرضِ أعبدُكَ)!

وهو الذي دعا ربه تعالى أن يجعله من المسلمين له المخبتين في طاعته، وذريته من بعده كما في البقرة:129: (وَإِذْ يَرْفَعُ إبراهيم الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإسماعيل، رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا؛ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ* رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ، وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ، وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا، وَتُبْ عَلَيْنَا؛ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ* رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)!

وهو الذي شهد بالإسلام ووصى به؛ كما في البقرة/130-132: (وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ* إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ: أَسْلِمْ، قَالَ: أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ* وَوَصَّىٰ بِهَا إبراهيم بَنِيهِ، وَيَعْقُوبُ: يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ؛ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)!

وهو الذي رفع قواعد أول مساجد الله تعالى، كما قال تبارك وتعالى في البقرة/86-97: (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا، وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ* فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ، مَقَامُ إبراهيم، وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا، وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ – مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا - وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ)!

وهو مطهر البيت من الشرك والوثنية ودعاء غير الله تبارك وتعالى، كما قال عز من قائل/ البقرة:125!: (وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا، وَاتَّخِذُوا من مَقَامِ إبراهيم مُصَلًّى، وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إبراهيم وَإسماعيل أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ)!

وهو الذي نقل الأمانة لأولاده، وشدد الوصية به، كما قال تعالى في البقرة/132: (وَوَصَّى بِهَا إبراهيم بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ: يَا بَنِيَّ إن الله اصطفى لكم الدين؛ فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) فردوا مخبتين راضين مؤمنين: (نَعْبُدُ إِلَهَكَ، وَإِلَهَ آبَائِكَ: إبراهيم وَإسماعيل وَإِسحق) البقرة:133!

وهو الذي جُعل معيارًا للتوحيد في مواجهة وثنية اليهود والنصارى، كما قال سبحانه في البقرة:135: (وَقَالُوا: كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا، قُلْ: بَلْ مِلَّةَ إبراهيم حَنِيفًا، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)! (وبعدها بقليل: (قُولُوا: آمَنَّا بِاللَّهِ، وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا، وَمَا أُنزِلَ إِلَى إبراهيم) البقرة:137!

وهو الذي جعل ربه الكريم عبادته دينًا للأمم بعده؛ كما في آل عمران/97: (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ – مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا - وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ)!

ومثلها في الشورى/13: (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا، وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ، وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إبراهيم وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَن: أَقِيمُوا الدِّينَ، وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ، كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ، اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ، وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ)

وجعلت صحفه مرجعًا للأمة، كما في الأعلى سبحانه/:18–19: (إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ* صُحُفِ إبراهيم وَمُوسَىٰ)!

وجعلت قواعد الكعبة التي رفعها مرجعًا للبناء، لا تغير، ولا تُتجاوز، كما في البخاري عن سيدتي أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها: قال لي رسولُ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّمَ: (لولا حَدَاثَةُ قومِكِ بالكفرِ، لنقضتُ البيتَ، ثم لبنيتُهُ على أساسِ إبراهيم عليه عليهِ السلامُ، فإنَّ قريشًا استقصرتْ بناءَهُ، وجعلتُ لهُ خَلْفًا)!

وفيه عنها رضي الله عنها أن النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قال لها: يا عائشةُ، لولا أنَّ قومَكِ حديثُ عهدٍ بجاهليةٍ، لأَمَرْتُ بالبيتِ فهُدِمَ، فأدخلتُ فيهِ ما أُخْرِجَ منهُ، وألزقتُهُ بالأرضِ، وجعلتُ لهُ بابيْنِ بابًا شرقيًّا وبابًا غربيًّا، فبلغتُ بهِ أساسَ إبراهيم. فذلكَ الذي حَمَلَ ابنَ الزبيرِ رضيَ اللهُ عنهما على هَدْمِهِ. قال يزيدٌ: وشهدتُ ابنَ الزبيرَ حينَ هَدَمَهُ وبناهُ، وأدخَلَ فيهِ من الحِجْرِ، وقد رأيتُ أساسَ إبراهيم، حجارةً كأسْنِمَةِ الإبلِ. قال جريرٌ: فقلتُ لهُ: أين موضعُهُ؟ قال: أُرِيكَهُ الآنَ،

فدخَّلْتُ معهُ الحِجْرَ، فأشار إلى مكانٍ، فقال: ها هُنا، قال جريرٌ: فحزرتُ من الحِجْرِ ستَّةَ أذرعٍ أو نحوها.

وواضح أنها رضي الله عنها كانت تناقش في تعديل البناء، وتبدي رأيها، ففي البخاري أيضًا أنه صلى الله عليه وسلم قال لها: (ألَم ترَي أنَّ قومَك لما بنَوا الكعبةَ اقتصَروا عن قواعدِ إبراهيم)؟!

فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، ألا تردُّها على قواعدِ إبراهيم؟ فقال صلى الله عليه وسلم: (لولا حَدَثانُ قومُك بالكفرِ)!

فقال عبدُ اللهِ بنُ عمرَ: لئن كانت عائشةُ سمعتْ هذا من رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، ما أرى أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ترك استلامَ الرُّكنَينِ اللَّذَينِ يلِيانِ الحِجرَ، إلا أنَّ البيتَ لم يُتمَّمْ على قواعدِ إبراهيم.

مما جاءنا من دينه عليه السلام:

ديننا إبراهيمي حنيفي بشكل شديد الوضوح، وهو ملة إبراهيم عليه السلام؛ كما قال ربي أصدق القائلين، في النحل/123! (ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفًا) وفي الحج/78: (..مِلَّةَ أَبِيكُمْ إبراهيم، هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ، وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ، وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ....)!

وقد علمنا أسوتنا وقدوتنا محمد صلى الله عليه وسلم أن نذكر ذلك كل صباح وكل مساء، تأكيدًا للتوحيد، وتخليصًا للقلب من كل ما سوى الله تبارك وتعالى، كما ورد في مسند أحمد وغيره أن رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَصْبَحَ قَالَ: (أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الإسلام، وَكَلِمَةِ الإِخْلاصِ، وَدِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمِلَّةِ أَبِينَا إبراهيم حَنِيفًا مُسْلِمًا، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)!

وتتجلى إبراهيمية الإسلام في توحيده، ومفاصلته الشرك والكفر، ووضوح رسالته، ودعوته بالحس والعقل والعاطفة، وبآيات الكون المنظور والكتاب المسطور، وبشعائره العديدة، وبالرحمة فيه والعاطفة، وبالأسرة والأخلاق، فسبحان الذي يصطفي رسله أنقى الناس معدنًا، وأكملهم إنسانية!

ومما جاءنا من دينه عليه السلام: تحقيق الاستسلام لله تعالى، ووجوب الإيمان بالرسل، وعدم التفريق بينهم، كما في آل عمران/84: (قُلْ: آمَنَّا بِاللَّهِ، وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا، وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إبراهيم وَإسماعيل وَإسحق وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ، وَالنَّبِيُّونَ منرَبِّهِمْ، لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)!

ومما جاءنا من دينه عليه السلام وجوب إقامة الدين، وعدم التفرق شيعًا، والدعوة بقوة وبينة، كما قال تعالى في الشورى/13: (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا، وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ، وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إبراهيم وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ: أَقِيمُوا الدِّينَ، وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ، كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ؛ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ، وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ)!

ومما جاءنا من دينه عليه السلام جملة وصايا منصبة على توحيد الله تعالى ربًّا وإلهًا، وحكمًا قسطًا، كما في النجم/36-55: (أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ* وَإبراهيم الَّذِي وَفَّىٰ:* أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أخرىٰ* وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ* وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ* ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ* وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ* وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ* وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا* وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ* منىُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ* وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأخرىٰ* وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ* وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ* وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ* وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ* وَقَوْمَ نُوحٍ منقَبْلُ؛ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ* وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ* فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ* فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ* هَٰذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ)!

ومنها جملة وصايا عن النفس البشرية وطبيعتها؛ كما قال تبارك وتعالى في(الأعلى سبحانه/9-19: (فَذَكِّرْ إِن نَفَعَتِ الذِّكْرَىٰ* سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَىٰ* وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى* الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ* ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا* قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّىٰ* وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ* بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا* وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ* إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ* صُحُفِ إبراهيم وَمُوسَىٰ)!

ومما جاءنا من دينه عليه السلام وجوب تطهير المساجد فلا يدعى فيها إلا الله رب العالمين، وأن تخلو من البدعة والشرك والكفر، كما في البقرة/125: (....وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن: طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود)!

ومما جاءنا من دينه: القبلة نحو أم القرى مكة، كما ورد في عمدة التفسير لأحمد شاكر – وأشار في المقدمة إلى صحته – عن سيدي عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كانَ أوَّلُ ما نُسِخَ منَ

القرآنِ القبلةَ، وذلِكَ أنَّ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ لمَّا هاجرَ إلى المدينةِ – وَكانَ أكثر أَهْلِها اليَهودَ – فأمرَهُ اللَّهُ أن يستقبلَ بيتَ المقدِسِ، ففرِحتِ اليَهودُ، فاستقبلَها رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ بضعةَ عشرَ شَهْرًا، وَكانَ يحبُّ قِبلةَ إبراهيم؛ فكانَ يدعو إلى اللَّهِ، وينظرُ إلى السَّماءِ، فأنزلَ اللَّهُ تعالى: (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ) إلى قولِهِ: (فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ) فارتابَ من ذلك اليَهودُ وقالوا: (مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا! قُل: للَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ) وقال سبحانه: (فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ) وقال اللَّه تعالى: (وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ)!

ومما جاءنا من دينه عليه السلام، المشاعر في مكة وحولها؛ كما ورد في صحيح سنن الترمذي عن سيدي يزيد بن مربع الأنصاري رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: (كونوا على مَشاعِرِكم؛ فإنكم على إرثٍ مِن إرثِ إبراهيم)!

وأبرز هذه المشاعر التي ورثناها هي المسجد الحرام نفسه (مسجد إبراهيم عليه السلام) ففي صحيح الترغيب عن سيدي جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما مرفوعًا: (خيرُ ما رَكِبَتْ إليه الرَّواحِلُ مَسجدُ إبراهيم، ومَسجدِي)!

ومن مشاعره وشعائره الطواف والسعي والرجم وغيرها؛ كما في المستدرك وصحيح الترغيب وغيرهما عن سيدي ابن عباس رضي الله تعالى عنهما:

لمَّا أَتَى إبراهيم خَلِيلُ اللهِ المَناسِكَ عرضَ لهُ الشَّيْطَانُ عندَ جَمْرَةِ العقبةَ، فَرَماهُ بِسبعِ حصياتٍ حتى ساخَ في الأرضِ، ثُمَّ عرضَ لهُ عندَ الجمرةِ الثانيةِ، فَرَماهُ بِسبعِ حصياتٍ حتى ساخَ في الأرضِ، ثُمَّ عرضَ لهُ عِنْدِ الجمرةِ الثالثةِ، فَرَماهُ بِسبعِ حصياتٍ حتى ساخَ في الأرضِ. قال ابْنُ عباسٍ رضي الله تعالى عنهما: الشيطانَ تَرْجُمُونِ، ومِلَّةَ أَبيكُمْ إبراهيم تَتَّبِعُونَ!

قال العلامة الشنقيطي رحمه الله تعالى في الأضواء: فذكر الله الذي يشرع الرمي لإقامته، هو الاقتداء بإبراهيم في عداوة الشيطان، ورميه، وعدم الانقياد إليه، والله تعالى يقول: (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم) الآية، فكأن الرمي رمزًا وإشارة إلى عداوة الشيطان التي أمرنا الله بها!

ومن هذه المشاعر: الصلاة خلف مقام إبراهيم عليه السلام في الحرم الشريف كما ورد في صحيح سنن ابن ماجه عن سيدي جابر رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: (لمَّا فرغَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ من طوافِ البيتِ أتى مقامَ إبراهيم، فقالَ عمرُ: يا رسولَ اللهِ، هذا مقامُ أبينا إبراهيم الَّذي قالَ اللَّهُ سبحانَهُ: واتَّخذوا من مقامِ إبراهيم مصلًّى)!

ومما جاءنا عنه في الذكر والنصح ما ورد في الترمذي وغيره عن سيدي ابن مسعود وسيدي أبي أيوب رضي الله تعالى عنهما أنَّ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ قال: (لقيت إبراهيم ليلة أسري بي، فقال: يا محمد: أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر)!

ومما جاءنا من دعائه عليه السلام ما ورد في البخاري، عن سيدي ابنِ عباسٍ رضي الله تعالى عنهما مرفوعًا: كان آخرُ قولِ إبراهيم حينَ أُلْقِيَ في النارِ: (حسبي اللهُ ونعمُ الوكيلِ)، وفيه عنه أيضًا: (حسبنا الله ونعم الوكيل: قالها إبراهيم عليه السلام حينَ أُلْقِيَ في النارِ، وقالها محمدٌ صلى الله عليه وسلم حينَ قالوا: (إن الناس قد جمعوا لكم؛ فاخشوهم، فزادهم إيمانًا، وقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل).

ومن دعائه الموروث ما ورد في صحيح سنن ابن ماجه عن سيدي ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: كانَ النَّبيُّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ يعوِّذُ الحسنَ، والحُسَيْنَ، يقولُ: أَعوذ بِكَلماتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، من كلِّ شيطانٍ وَهامَّةٍ، ومن كلِّ عينٍ لامَّةٍ، قالَ: وَكانَ أبونا إبراهيم يعوِّذُ بِها إسماعيل، وإسحقَ أو قالَ: إسماعيل، ويعقوبَ!

ومما جاءنا عنه عليه السلام وورثناه: سنن الفطرة، كما ورد في الفتح عن ابنِ عباسٍ رضي الله تعالى عنهما بسند صحيح أن الكلماتِ التي ابتلى بهن إبراهيم فأتمهن هي خصالُ الفطرةِ، ومنهن الختانُ)!

ومن سنن الفطرة هذه: سنة الختان، ففي الصحيحين عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: (اختتن إبراهيم، النبيُّ عليه السلام، وهو ابنُ ثمانين سنةً، بالقَدومِ)!

وفي الترمذي وغيره عن سيدي ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، قال: كان النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسَلَّم يَقُصُّ أوْ يَأْخُذُ من شارِبِه. قال: وكانَ خَليلَ الرَّحمنِ إبراهيم يَفعلُهُ!

ومن ميراثه المتبع: الذبح لله رب العالمين، ففي سنن أبي داود وغيره عن سيدي جابر رضي الله تعالى عنه قال: ذبحَ النَّبيُّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ يومَ الذَّبحِ كبشينِ أملحينِ أقرنينِ موجوأينِ، فلمَّا ذبحَهما قالَ: (إنِّي وجَّهتُ وجهيَ للَّذي فطر السَّمواتِ والأرضَ، على ملَّةِ إبراهيم حنيفًا، وما أنا منَ المشرِكينَ. إنَّ صلاتي، ونسُكي، ومحياي، ومماتي للَّهِ ربِّ العالمينَ، لا شريكَ لَه، وبذلِك أمرتُ، وأنا منَ المسلمينَ. اللَّهمَّ منكَ، ولَك عن محمَّدٍ وأمَّتِه، بسمِ اللَّهِ، واللَّهُ أَكبرُ)!

بل إن الناس سيلزمون مهاجَره آخر الزمان عند الفتن، فيهرعون نحو الشام، تخريج مشكاة المصابيح، وغيره، بسند حسن كما قال في المقدمة، عن سيدي عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما مرفوعًا: (إنَّها ستَكونُ هجرةٌ بعدَ هجرةٍ إلى مُهاجَرِ إبراهيم عليهِ السَّلامُ) وفي روايةٍ: (فخيارُ أَهلِ الأرضِ ألزَمُهم مُهاجَرَ إبراهيم....) الحديث!

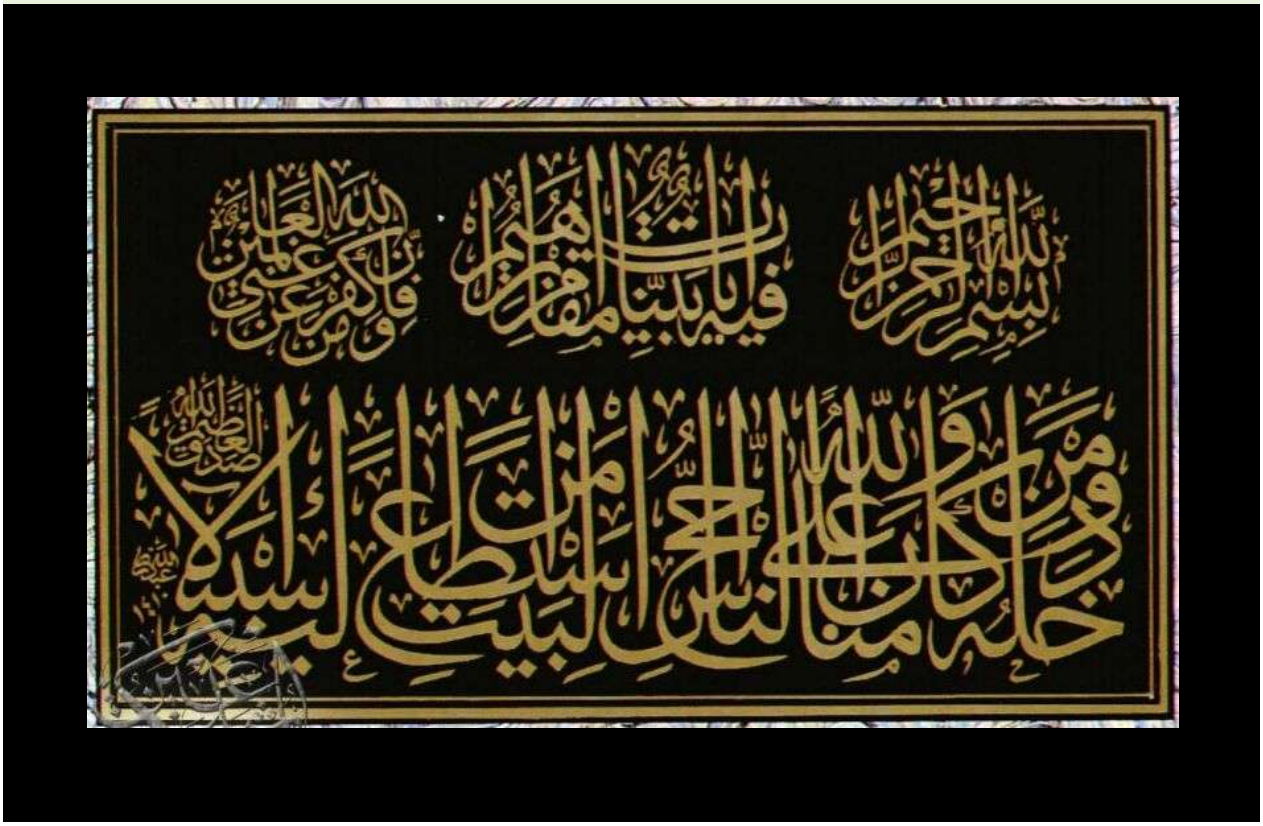

إبراهيم الموحد:

كان الله تعالى عنده عليه السلام قبل كل شيء:

وقضية التوحيد كانت شاغلا للخليل إبراهيم عليه سلام الله مذ كان فتىً، فقد كرم الله وجهه عن الأصنام والاقتناع بها؛ فضلًا عن تعظيمها، وهو الذي سخِر منها ومن عُبادها، وأعلن عداوته لها بشكل حاسم: كما في الشعراء:77-82! (فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي؛ إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ* الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ* وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ* وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ* وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ* وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ)!

وفي الممتحنة/4: (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إبراهيم وَالَّذِينَ مَعَهُ؛ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ: إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ، وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ: كَفَرْنَا بِكُمْ، وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا – حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ – إِلَّا قَوْلَ إبراهيم لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ، وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ.....)!

وهو الذي كان الله تعالى أحب إليه مما سواه من ولد وزوج ودنيا؛ حتى إنه ليمتثل أمر الله تعالى، مهما بدا، ومهما شق، كما في الصافات/100-113: (رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ* فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ* فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ: يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ؛ فَانظُرْ، مَاذَا تَرَىٰ؟! قَالَ: يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ؛ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ* فَلَمَّا أَسْلَمَا، وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ* وَنَادَيْنَاهُ أَن: يَا إبراهيم* قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا؛ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ* إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ* وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ* وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ* سَلَامٌ عَلَىٰ إبراهيم* كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ* إِنَّهُ منعِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ* وَبَشَّرْنَاهُ بِإسحق نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ* وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إسحق، وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ، وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ)!

وهو الذي صدق التوجه لله تعالى بكليته؛ كما الأنعام/79: (إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السموات وَالْأَرْضَ حَنِيفًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)!

وفي البقرة/131-132: (إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ* وَوَصَّىٰ بِهَا إبراهيم بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)!

بل هو الذي فاصل أباه، وعاداه في الله؛ كما في التوبة/114: (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إبراهيم لِأَبِيهِ إِلا عَن مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ؛ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ، إِنَّ إبراهيم لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ)!

وهو الذي لم يخش التهديد ولا مواجهة الموت، وأعلن – في تحدٍّ سافر – عدم مبالاته بالشرك والمشركين؛ كما في الأنعام/80: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ، قَالَ: أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ؟! وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ؛ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا، وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا؛ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾!

بل هو الذي واجه الموت بطريقة بشعة رهيبة، كما في الأنبياء عليهم السلام/68-70! ﴿قَالُوا: حَرِّقُوهُ، وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ* قُلْنَا: يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إبراهيم* وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا، فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾!

وكانت ثقته بالله تعالى فوق كل شيء؛ حتى على مستوى التعرض للحرق بالنار، لا يهتز قلبه، ولا تجل نفسه، كما في البخاري عن سيدي ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: (حسبنا الله ونعم الوكيل: قالها إبراهيم عليه السلام حينَ أُلْقِيَ في النارِ، وقالها محمدٌ صلى الله عليه وسلم حينَ قالوا: (إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، فزادهم إيمانًا، وقالوا: حسبنا الله، ونعم الوكيل)!

كان عليه السلام أبعد الناس عن الشرك والمشركين:

وقد نص رب العالمين على ذلك؛ تزكيته له وشهادة بصفاء توحيده؛ كما قال عز وجل في النحل/120-122: (إن إبراهيم كان أمة قانتًا لله، حنيفًا، ولم يك من المشركين* شاكرًا لأنعمه، اجتباه، وهداه إلى صراط مستقيم* وآتيناه في الدنيا حسنة، وإنه في الآخرة لمن الصالحين)!

وفي البقرة/140: (أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إبراهيم وَإسماعيل وَإسحق وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ؟ قُلْ: أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ؟ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ؟!)!

وقد نص النبي صلى الله عليه وسلم نصًّا صريحًا أن الخليل عليه السلام لم يقع في فعل شرك قط، كما في البخاري عن سيدي ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لما قدم مكةَ، أبى أن يدخلَ البيتَ وفيه الآلهةُ، فأمر بها فأُخرجت، فأُخرج صورة إبراهيم وإسماعيل في أيديهما من الأزلامِ، فقال النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: (قاتلهم اللهُ، لقد علموا: ما استقسما بها قطُّ). ثم دخل البيتَ، فكبَّر في نواحي البيتِ، وخرج ولم يُصلِّ فيه.

بل كان عليه السلام عدوًّا للشرك والمشركين

فهو الذي عنف قومه ابتداء بأبيه، لعبادة الأصنام وتعظيمها؛ كما في الأنعام/74: (وَإِذْ قَالَ إبراهيم لِأَبِيهِ آزَرَ: تَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً؟ إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)! وفي الصافات/85-87: (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ: مَاذَا تَعْبُدُونَ* أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ* فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ)!

وتبرأ منها صراحة، كما في الزخرف/26-28: (وَإِذْ قَالَ إبراهيم لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ: إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ* إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ* وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)!

وبين لقومه مواطن الخطل والسفه في عبادته، فقال لهم صراحة ووضوح لا مجاملة فيه:

(...اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ؛ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ* إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مندُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا، وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا؛ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ، وَاعْبُدُوهُ، وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) العنكبوت:16-17!

وهو الذي غير باليد، وكسر الأوثان في أماكنها، ليقيم الحجة البلقاء على قومه عميان البصائر، كما في الأنبياء عليهم السلام/51-70! (وَلَقَدْ آتَيْنَا إبراهيم رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ* إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ: مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ؟* قَالُوا: وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ* قَالَ: لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ* قَالُوا: أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ؟* قَالَ: بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السموات وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ، وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ* وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ* فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا؛ إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ* قَالُوا: مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ* قَالُوا: سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إبراهيم* قَالُوا: فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ؛ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ* قَالُوا: أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إبراهيم؟* قَالَ: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا؛ فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ* فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا: إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ* ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُؤُوسِهِمْ؛ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ* قَالَ: أَفَتَعْبُدُونَ من دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ؟!* أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟* قَالُوا: حَرِّقُوهُ، وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ* قُلْنَا: يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إبراهيم* وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا، فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ)!

ومثلها في الصافات/91-98: (فراغ إلى آلهتهم فقال: ألا تأكلون!؟* ما لكم لا تنطقون* فراغ عليهم ضربًا باليمين* فأقبلوا إليه يزفون* قال أتعبدون ما تنحتون* والله خلقكم وما تعملون* قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم *فأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين)!

بل كان تطهير الدنيا من الأوثان تكليفًا مفروضًا عليه وعلى ذريته من بعده، كما في البقرة/125: (..... وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إبراهيم وَإسماعيل أَن: طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ)!

وكما في البقرة:127-129وَإِذْ يَرْفَعُ إبراهيم الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإسماعيل: رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا؛ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ* رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ، وَمن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ، وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا، وَتُبْ عَلَيْنَا؛ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ* رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ، يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ، وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ، وَيُزَكِّيهِمْ؛ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)!

الداعية:

كان عليه السلام داعية رحمة على بصيرة:

ولم يكن عليه السلام مؤمنًا يخر على الآيات أصم أعمى؛ بل عرف ربه تبارك وتعالى، واستعلم، وتعلم، ليكون على بينة من ربه وبصيرة؛ كما جاء في البقرة/260: (وَإِذْ قَالَ إبراهيم: رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ! قَالَ: أَوَلَمْ تُؤْمِن؟! قَالَ: بَلَىٰ؛ وَلَٰكِن لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي! قَالَ: فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ، فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ، ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا، ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا، وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)!

وكما في الأنعام/75: (وَكَذَلِكَ نُرِي إبراهيم مَلَكُوتَ السموات وَالأَرْضِ، وليكون من الموقنين)!

وكما قال تعالى في الأنبياء عليهم السلام/51: (ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل، وكنا به عالمين)!

كان عليه السلام ذا قدرة فائقة على الحجاج والإقناع:

وقد حباه الله تبارك وتعالى قوة الحجة والقدرة الفائقة على الإقناع، وتنويع الأساليب، بحسب الحال والمخاطب كما في الأنعام:83! (وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إبراهيم عَلَىٰ قَوْمِهِ، نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نشَاءُ؛ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ)!

وقد استخدم في خطابه الحوار العقلاني، واللغة العاطفية الواضحة كما في حواره مع أبيه آزر: كما في مريم عليها السلام/42-46: (واذكر في الكتاب إبراهيم؛ إنه كان صديقًا نبيًّا* إذ قال لأبيه: يا أبت: لم تعبد ما لا يسمع، ولا يبصر، ولا يغني عنك شيئًا؟* يا أبت: إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك، فاتبعني؛ أهدك صراطا سويًّا* يا أبت: لا تعبد الشيطان، إن الشيطان كان للرحمن عصيًّا* يا أبت: إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن، فتكون للشيطان وليًّا* قال: أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم؟ لئن لم تنته لأرجمنك، واهجرني مليًّا)!

ووظف المحسوس ليصل إلى المعقول، كما في الأنعام:76-78! (فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا، قَالَ: هَٰذَا رَبِّي، فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ: لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ* فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ: هَٰذَا رَبِّي، فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ: لَئِن لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ* فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ: هَٰذَا رَبِّي، هَٰذَا أَكْبَرُ، فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ: يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ)!

كما وظف التنزل في الخطاب، والاستدلال بالمستحيل والخارج عن الإمكان في المحاجة، كما في البقرة/258:

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إبراهيم فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ؛ إِذْ قَالَ إبراهيم: رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ، قَالَ: أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ، قَالَ إبراهيم: فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ؛ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)!

واستخدم المراوغة والسخرية، فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ* فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ* فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ* فتولوا عنه مدبرين* فراغ إلى آلهتهم فقال: ألا تأكلون* ما لكم لا تنطقون) الصافات:88-92!

وتلاعب بمن أمامه ليلزمه الحجة، كما في الأنبياء /62-67: (قَالُوا: أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إبراهيم؟* قَالَ: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا؛ فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ* فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا: إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ* ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُؤُوسِهِمْ؛ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ* قَالَ: أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ؟!* أُفٍّ لَكُمْ، وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ)؟

كان عليه السلام داعية رحمة حتى بالكفار:

وكان عليه السلام رفيقًا رحيمًا حتى بالكفار، كما في إبراهيم عليه السلام/36: (رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ؛ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي، وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)!

وكما في الشعراء:85-86، حين دعا لأبيه الجاحد القاسي الذي طرده، وهدده بالرجم، فقال عليه السلام: (وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ* وَاغْفِرْ لِأَبِي؛ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ)!

وعلل الرحمن الرحيم موقفه بشكل جلي، فقال سبحانه: (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إبراهيم لأَبِيهِ إِلا عَن مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ؛ إِنَّ إبراهيم لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ) التوبة:114!

وتمتد رحمته وشفقته على بنيه العصاة حتى الآخرة، كما في صحيح الموارد وصحيح الترغيب وغيرهما، عن سيدي حذيفة رضي الله تعالى عنه: (يقولُ إبراهيم يومَ القيامةِ: يا ربَّاهُ! فيقولُ اللهُ جلَّ وعلا: يا لبيْكاهُ! فيقولُ إبراهيم: يا ربِّ! حرَّقتَ بنيَّ: فيقولُ تعالى وعز وجل: أخرِجُوا من النارِ من كان في قلبِه ذَرَّةٌ أو شَعِيرةٌ من إيمانٍ)!

عانى عليه السلام في سبيل الله تعالى:

وهو الذي لم يخش التهديد ولا مواجهة الموت، بصوره كلها، وأعلن في تحدٍّ سافر –كما مر – عدم مبالاته بالشرك والمشركين؛ بدءًا بكلام أبيه الذي طرده، وهدده بالموت رجمًا، كما في مريم عليها السلام/46-48: (قَالَ: أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إبراهيم؟ لَئِنْ لَمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ، وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا* قَالَ: سَلَامٌ عَلَيْكَ، سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي؛ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا* وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ، وَأَدْعُو رَبِّي؛ عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا)!

بل هو الذي واجه الموت في سبيل الله تعالى بطريقة بشعة رهيبة، على أيدي سدنة الشرك وكهنة الأصنام، كما في الأنبياء عليهم السلام/68-70! (قَالُوا: حَرِّقُوهُ، وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ* قُلْنَا: يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إبراهيم* وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا، فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ)!

وعاني حرقة الكبد على فرقة الولد، في سبيل الله تعالى، حين ترك ابنه في الصحراء – طاعة لله تبارك وتعالى – كما ورد في البخاري عن سيدي ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، مرفوعًا: (.. ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعُهُ، حتى وضعها عند البيتِ، عند دَوْحَةٍ فوق زمزمَ في أعلى المسجدِ، وليس بمكةَ يومئذٍ أحدٌ، وليس بها ماءٌ، فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جِرَابًا فيهِ تمرٌ، وسقاءً فيهِ ماءٌ، ثم قَفَّى إبراهيم منطلقًا! فتبعتْهُ أمُّ إسماعيل، فقالت: يا إبراهيم، أين تذهبُ وتتركنا بهذا الوادي، الذي ليس فيهِ إنسٌ ولا شيءٌ؟ فقالت لهُ ذلك مرارًا، وجعل لا يتلفتُ إليها!

فقالت لهُ: آللهُ الذي أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يُضَيِّعُنَا، ثم رجعتُ!

فانطلقَ إبراهيم حتى إذا كان عند الثَّنِيَّةِ حيثُ لا يرونَهُ، استقبلَ بوجهِهِ البيتَ، ثم دعا بهؤلاءِ الكلماتِ، ورفع يديهِ فقال: (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عند بيتك المحرم؛ ربنا ليقيموا الصلاة، فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم، وارزقهم من الثمرات؛ لعلهم يَشْكُرُونَ).

وحين أمر بذبح ولده، فلم يتردد، ولم يجمجم، بل كان حاسمًا قاطعًا في قراره، كما في الصافات:99-106: (وَقَالَ: إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ* رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ* فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ* فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ: يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ، فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ؟ قَالَ: يَا أَبَتِ

افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ، سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ* فَلَمَّا أَسْلَمَا، وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ* وَنَادَيْنَاهُ أَن: يَا إبراهيم* قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا؛ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ* إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ)!

وكان عليه السلام واضح المواجهة والمفاصلة:

ويتجلى هذا في مواقفه التي فصلها القرآن في مواطن عدة، كما مر من قبل في الأنعام:80-81!

وفي الأنبياء عليهم السلام:51-70! والصافات:85-99، والممتحنة/4!

وهو المنهج الذي انتهجه الأنبياء والمرسلون قبله وبعده، فهم الذين لم يهادنوا الشرك والكفر، بل واجهوه وهاجموه، ودفعوا في سبيل ذلك أثمانًا باهظة من النفس والمال والولد والصحب!

فقبله قال نوح عليه السلام لقومه؛ كما قال كل الأنبياء عليهم السلام: (إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ* أَن لاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللَّهَ؛ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ) هود:25-26!

وكما فاصل هود عليه السلام قومه: (قال: إني أُشهد الله، واشهدوا أني بريء مما تشركون* من دونه فكيدوني جميعًا ثم لا تنظرون) هود عليه السلام:54-55!

وبعده قال الصديق يوسف عليه السلام:37-40: (إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ* وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إبراهيم وَإِسحق وَيَعْقُوبَ؛ مَا كَانَ لَنَا أَن نشْرِكَ بِاللَّهِ من شَيْءٍ؛ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أكثر النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ* يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ: أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ* مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا من سُلْطَانٍ؛ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ، أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ)!

وقال سليمان عليه السلام: (بسم الله الرحمن الرحيم* ألا تعلوا علي، وأتوني مسلمين) النمل:30-31،

وقال موسى عليه السلام: (ربِّ إني لا أملك إلاَّ نفسي وأخي، فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) المائدة:25!

وقال محمد صلى الله عليه وسلم بشكل سافر: (يأيها الكافرون* لا أعبد ما تعبدون* ولا أنتم عابدون ما أعبد* ولا أنا عابد ما عبدتم* ولا أنتم عابدون ما أعبد* لكم دينكم ولي دين)!

قال الله تعالى:
إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين
فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا

الإنسان:

كان عليه السلام ابنًا بارًّا:

كان عليه السلام أنموذجًا للابن البار الداعية، الذي يحب أباه – رغم كفر الأب وطغيانه – يصبر عليه، ويدعوه، ويدعو له، ويحرص على هدايته؛ وكان دائم الدعاء له: (رَبَّنَا اغْفِرْ لِي، لِوَالِدَيَّ، لِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ) إبراهيم عليه السلام:41!

وفي الشعراء:85-86: (واجعَلْنِي منوَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ* وَاغْفِرْ لِأَبِي؛ نَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ)!

ولقد حسن التأتي مع والده، شديد الرفق في الكلام معه، بالغ الحرص على هدايته، رغم جفوة أبيه وقسوته، ورغم تهديده إياه بالطرد والرجم! كما عكس ذلك حوارهما في سورة مريم عليها السلام/41-48: (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إبراهيم إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا* إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ: يَا أَبَتِ: لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ، وَلا يُبْصِرُ، وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا؟* يَا أَبَتِ: إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ، فَاتَّبِعْنِي؛ أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا* يَا أَبَتِ: لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ؛ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا* يَا أَبَتِ: إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ؛ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا* قَالَ: أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إبراهيم؟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ، وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا* قَالَ: سَلامٌ عَلَيْكَ، سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي؛ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا* وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ، وَأَدْعُو رَبِّي؛ عَسَى أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا)!

ومع الجفوة والقسوة ظل يدعو لأبيه ويجتهد في تألفه؛ وهو يعلم أنه لا يملك إلا الدعاء لعله أن يغير القضاء: (إِلا قَوْلَ إبراهيم لأَبِيهِ: لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ؛ وما أملك لك من الله من شيء) الممتحنة:4!

وظل كذلك حتى نهي عن الاستغفار له كما قال تعالى في التوبة/114: (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إبراهيم لأَبِيهِ إِلا عَن مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ؛ إِنَّ إبراهيم لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ)!

وفي البخاري رحمه الله عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: (يلقى إبراهيم أباه آزرَ يومَ القيامةِ، وعلى وجه آزرَ قترةٌ وغبرةٌ، فيقول له إبراهيم: ألم أقُلْ لك لا تعصِني، فيقول أبوه: فاليومَ لا

أَعصيك، فيقول إبراهيم: يا ربِّ إنك وعدتَني ألا تُخزيَني يومَ يُبعثون، فأيُّ خزيٍ أخزى من أبي الأبعدُ؟ فيقول اللهُ تعالى: إني حرَّمتُ الجنةَ على الكافرين، ثم يقال: يا إبراهيم، ما تحت رجلَيك؟ فينظر، فإذا هو بذِيخٍ مُتلطِّخٍ، فيؤخذُ بقوائمِه فيُلقَى في النَّارِ)!

وقد انتهج بعض الصحابة هذا الأمر، فدعوا لآبائهم المشركين، أملًا في أن يغفر الله لهم؛ كما ورد في الترمذي بسند حسن عن سيدي علي رضوان الله عليه، قال: سَمِعْتُ رجلًا يستغفرُ لِأَبَوَيْهِ وهما مُشْرِكانِ، فقلتُ له: أَتَسْتَغْفِرُ لِأَبَوَيْكَ وهما مُشْرِكانِ؟ فقال: أَوَلَيْسَ استغفر إبراهيم لِأَبِيه وهو مُشْرِكٌ؟!

فذكرتُ ذلك للنبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فنَزَلَت: (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ والَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ، ولو كانوا أولي قربى؛ من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم* وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إبراهيم لأَبِيهِ إِلا عَن مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ؛ إِنَّ إبراهيم لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ) التوبة:114-115!

كان عليه السلام أبًا مميزًا:

وقد سماه الله تبارك وتعالى أبا المسلمين، أو أبا العرب؛ كما في الحج/78: (....هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ، وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ، وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ....)!

ولأنه كان عليه السلام كذلك أبًا متميزًا، بر أبويه، وصبر عليهما، وأحسن إليهما، فكان جزاؤه – كما أحسن – الإحسان؛ إذ رزقه الله ولدًا بارًّا بشكل منقطع النظير – بشكل يفوق منطقنا وعقولنا – فقد بلغ من بره أن قدم عنقه لأبيه ليذبحه بسكين، مثبتًا قلب الشيخ الشفيق الواجف، طالبًا منه ألا يتردد في تنفيذ أمر ربه تبارك وتعالى، دون أن تثنيه مشاعر الأبوة والحنان، حتى سمى الله تعالى الموقف بالبلاء المبين: (فبشرناه بغلام حليم* فلما بلغ معه السعي قال: يا بني: إني أرى في المنام أني أذبحك؛ فانظر ماذا ترى؟ قال: يا أبت افعل ما تؤمر؛ ستجدني إن شاء الله من الصابرين* إن هذا لهو البلاء المبين* وفديناه بذبح عظيم* وتركنا عليه في الآخرين* سلام على إبراهيم) الصافات:**101**-108

وهو الأب الذي حرص على أن يكون أبناؤه من سادات الآخرة والدنيا، أغنياء بتوفيق الله وهدايته ورزقه، فكان يدعو لهم بالإمامة والرزق والأمن، وهي خير الدنيا والآخرة على الإطلاق؛ فعن طلبه الإمامة لأبنائه والسيادة في الدنيا والآخرة يقول تعالى، البقرة:124: (وَإِذِ ابْتَلَىٰ إبراهيم رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ، قَالَ: إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا! قَالَ: وَمِن ذُرِّيَّتِي؟ قَالَ: لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)!

وكان أن أكرمه الله تعالى، فجعل في ذريته النبوة والكتاب؛ كما قال عز من قائل: (وَوَهَبْنَا لَهُ إسحق وَيَعْقُوبَ، كُلًّا هَدَيْنَا، وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ، وَمِن ذُرِّيَّتِهِ: دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ، وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ* وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ، كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ* وَإسماعيل وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا، وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ* ومنآبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ، وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) الأنعام: 84-87!

وكما دعا لهم بالتوحيد والهداية والاستقامة على شرع الله تعالى، دعا لهم بالأمن والرزق والسعة، وبناء حضارة ومجتمع مؤمن: (وَإِذْ قَالَ إبراهيم: رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا، وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نعْبُدَ الْأَصْنَامَ* رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ؛ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي، وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ* رَبَّنَا: إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ، رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ؛ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ، وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ؛ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) إبراهيم عليه السلام:35-37!

ودعا لهم بالمحافظة على الأركان والطاعات: (رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي، رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ) إبراهيم عليه السلام:39-40!

وكان أن أجاب الله تعالى دعاءه، وأعطاه ما تمناه في الدنيا والآخرة: (وَوَهَبْنَا لَهُ إسحق وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً، وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ* وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا، وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَإِقَامَ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ، وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ) الأنبياء:72-73!

وهو الأب الحاني على أبنائه حتى في الآخرة؛ ففي البخاري عن سيدي سمرة بن جندب رضي الله تعالى عنه: كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم إذا صلَّى صلاةً اقبلَ علينا بوجهِه، فقال: مَنْ رأى منكم الليلةَ رؤيا؟ قال: فإنْ رأى أحدٌ قصَّهَا. فيقولُ: ما شاءَ اللهُ. فسألَنا يومًا فقال: هل رأى أحدُ منكم رؤيا؟ قلْنَا: لا. قال: لكني رأيتُ الليلةَ رجلين أَتَيَاني فأخذَا بيدي، فأَخْرَجَاني إلى الأرضِ المُقَدَّسةِ.....فانطلقْنَا حتى انتهيَا إلى رَوْضَةٍ خضراءَ فيها شجرةٌ عظيمةٌ، وفي أصلِها شيخٌ وصِبْيَانٌ، وإذا رجلٌ قريبٌ مِنَ الشجرةِ بينَ يديه نارٌ يُوقِدُها، فصعدَا بي في الشَّجَرَةِ، وأَدْخَلانِي دارً لم أرَ قَطُّ أحسنَ منها، فيها رجالٌ شيوخٌ، وشبابٌ ونساءٌ وصِبْيَانٌ، ثم أخرجَانِي منها فصعدَا بي الشجرةَ، فأَدْخَلانِي دارً هي أحسنُ وأفضلُ، فيها شيوخٌ وشبابٌ، قلتُ: طَوَّفْتُمَاني الليلةَ؛ فأَخْبِرَانِي عما رأيتُ. قالا: نعم....والشيخُ في أصلِ الشَّجَرَةِ إبراهيم عليه السلام، والصِّبْيَانُ حولَه فأولادُ النَّاسِ!

وفي صحيح الجامع وغيره عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: (أولادُ/ أطفال المؤمنين في جبلٍ في الجنَّةِ، يُكلِّفُهم إبراهيم وسارةَ، حتَّى يردَّهم إلى آبائِهم يومَ القيامةِ)!

كان عليه السلام داعية سلام وأمن:

وكان عليه السلام داعية أمن وسلام، وداعية رحمة ومنّ، فهو الذي طلب المغفرة والرحمة للعصاة، بل حتى للكفرة من ذريته: (رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ؛ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي، وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) إبراهيم عليه السلام:36!

وظل كذلك حتى نهاه الله تعالى عن الدعاء للكفرة، فأمسك: (وَإِذْ قَالَ إبراهيم: رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا، وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ – مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ – قَالَ: وَمَن كَفَرَ؛ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا، ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ، وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) البقرة:126، وكما قال تعالى في التوبة/114: (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إبراهيم لأَبِيهِ إِلا عَن مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ؛ إِنَّ إبراهيم لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ)!

وهو الذي جاءه قوم لا يعرف فآمنهم وأمّنهم: (وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إبراهيم بِالْبُشْرَى، قَالُوا: سَلامًا، قال سلام) هود عليه السلام:69!

وهو الذي حرّم مكة، وأمن كل ما فيها من إنسان وحيوان وطير وشجر: (وَإِذْ قَالَ إبراهيم رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا، وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نعْبُدَ الْأَصْنَامَ) إبراهيم عليه السلام: 35!

وفي الصحيحين عن سيدي عبد الله بن زيد رضي الله عنه، مرفوعًا أن إبراهيم حرَّم مكةَ ودعا لها، وحَرَّمت المدينةَ كما حرَّم إبراهيم مكةَ، ودعوت لها في مُدِّها وصاعِها مثلَ ما دعا إبراهيم عليه السلامُ لمكةَ)، وفي رواية لمسلم: وفي روايَةٍ: (بمِثْلَيْ ما دعا بِهِ إبراهيم)!

وفي صحيح الترغيب عن سيدي أبي قتادة الأنصاري رضي الله تعالى عنه، مرفوعًا: (إنَّ إبراهيم خليلَك وعبدَك ونبيَّك دعاك لأهلِ مكةَ، وأنا محمدٌ عبدُك ورسولُك، أدعوك لأهلِ المدينةِ مثلَ ما دعاك إبراهيم لمكةَ؛ ندعوك أن تبارِكَ لهم في صاعِهم ومُدِّهم وثمارِهم، اللهم حَبِّبْ إلينا المدينةَ، كما حَبَّبْتَ إلينا مكةَ، واجعلْ ما بها من وباءٍ بـ (خُمَّ)، اللهم إني حرَّمتُ ما بين لابتَيها كما حرَّمتَ على لسان إبراهيم الحرم!

كان عليه السلام كريمًا جوادًا:

وهو عليه السلام الذي كان يكرم الضيفان، ويبالغ في الحفاوة بهم، حتى إنه كان أولَ مَنْ أضافَ الضيفَ، كما في صحيح الجامع، عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه!

وقد حكى الله تعالى طرفًا من جوده البالغ، في سورة هود عليه السلام/69: ﴿ولَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إبراهيم بِالْبُشْرَىٰ، قَالُوا: سَلَامًا، قَالَ: سَلَامٌ؛ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾!

وفي الذاريات/24-27 يبالغ في الإكرام، ويقرب بيده الطعام، ويطلب من ضيوفه الأكل؛ رغم أنه أنكر حالهم وهيئاتهم: ﴿هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين* إذ دخلوا عليه، فقالوا: سلامًا، قال: سلام قوم منكرون* فراغ إلى أهله، فجاء بعجل سمين* فقربه إليهم، قال: ألا تأكلون﴾!

ومن جوده – والله تعالى أعلم – شرع الله الذبح، وإطعام الطعام، بغير شرك في الذبح ولا بطر، كما قال تعالى في الحج/34: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ منبَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ، فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ؛ فَلَهُ أَسْلِمُوا، وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾!

بل بات الذبح عبادة وبابًا للجنة، لذرية إبراهيم عليه السلام من بعده، إلى يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ* وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ الصافات:107-108!

ما يزعم أنه محراب أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام في سوريا!

!

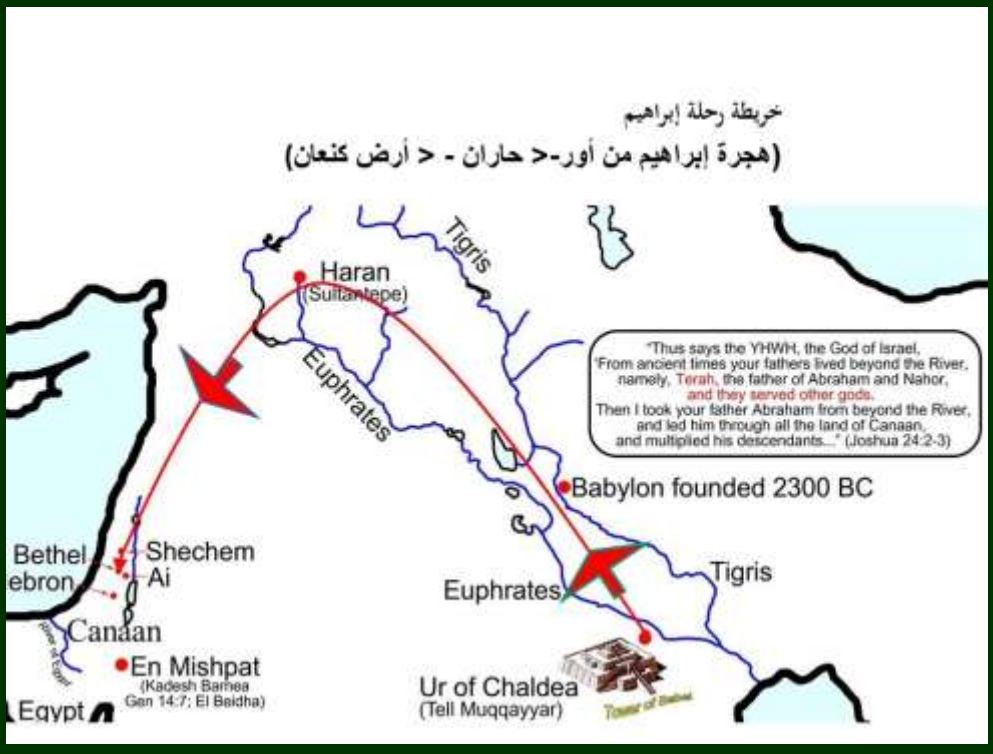

هجرة إبراهيم عليه السلام وفق الرؤية اليهودية.

صورة شاملة

وهذه صورة (بانورامية) شاملة لأبي الأنبياء خليل الرحمن تبارك وتعالى، كما رسمها المصطفى صلى الله عليه وسلم، تعطينا رؤية دقيقة تأريخية لإبراهيم وآله عليهم السلام، وكيف يراهم الإسلام والمسلمون:

الهجرة إلى مكة وبناء البيت

في البخاري عن سيدي عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما مرفوعًا: أولُ ما اتَّخَذَ النساءُ المِنْطَقَ من قبلِ أم إسماعيل، اتخذتْ مِنْطَقًا لتُعفي أَثَرها على سارةَ، ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعُهُ، حتى وضعها عند البيتِ، عند دَوْحَةٍ فوق زمزمَ في أعلى المسجدِ، وليس بمكةَ يومئذٍ أحدٌ، وليس بها ماءٌ، فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جِرَابًا فيهِ تمرٌ، وسقاءً فيهِ ماءٌ، ثم قَفَّى إبراهيم منطلقًا!

فتبعتْهُ أمُّ إسماعيل، فقالت: يا إبراهيم، أين تذهبُ وتتركنا بهذا الوادي، الذي ليس فيهِ إنسٌ ولا شيءٌ؟ فقالت لهُ ذلك مرارًا، وجعل لا يتلفتُ إليها!

فقالت لهُ: آللهُ الذي أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يُضَيِّعُنَا، ثم رجعتُ!

فانطلقَ إبراهيم؛ حتى إذا كان عند الثَّنِيَّةِ حيثُ لا يرونَهُ، استقبلَ بوجهِهِ البيتَ، ثم دعا بهؤلاءِ الكلماتِ، ورفع يديهِ فقال: (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ من ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عند بيتك المحرم؛ ربنا ليقيموا الصلاة، فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم، وارزقهم من الثمرات لعلهم يَشْكُرُونَ)!

وجعلت أمُّ إسماعيل تُرْضِعُ إسماعيل، وتشربُ من ذلك الماءِ، حتى إذا نفد ما في السِّقَاءِ عطشتْ وعطشَ ابنها، وجعلت تنظرُ إليهِ يَتَلَوَّى، فانطلقت كراهيةَ أن تنظرَ إليهِ، فوجدتِ الصفا أقربُ جبلٍ في الأرضِ يليها، فقامت عليهِ، ثم استقبلتِ الوادي تنظرُ هل ترى أحدًا فلم تَرَ أحدًا، فهبطتْ من الصفا حتى إذا بلغتِ الوادي رفعتْ طرفَ درعها، ثم سعت سعيَ الإنسانِ المجهودِ حتى إذا جاوزتِ الوادي، ثم أتتِ المروةَ فقامت عليها ونظرت هل ترى أحدًا فلم تَرَ أحدًا، ففعلت ذلك سبعَ مراتٍ. قال ابنُ عباسٍ: قال النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: (فذلك سعيُ الناسِ بينهما).

فلما أشرفت على المروةِ سمعت صوتًا، فقالت صَهْ – تريدُ نفسها – ثم تَسَمَّعَتْ، فسمعت أيضًا، فقالت: قد أُسْمِعْتُ إن كان عندكَ غَوَاثٌ، فإذا هي بالمَلَكِ عند موضعِ زمزمَ، فبحث بعقبِهِ، أو قال:

بجناحِهِ، حتى ظهرِ الماءِ، فجعلت تَحُوضُهُ وتقولُ بيدها هكذا، وجعلت تغرُفُ من الماءِ في سقائها وهو يفورُ بعد ما تغرفُ. قال ابنُ عباسٍ: قال النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: (يرحمُ اللهُ أم إسماعيل، لو كانت تركت زمزمَ – أو قال: لو لم تغرف من الماءِ – لكانت زمزمُ عينًا معينًا).

قال: فشربت وأرضعتْ ولدها، قال لها الملَكُ: لا تخافوا الضَّيْعَةَ، فإنَّ ها هنا بيت اللهِ، يبني هذا الغلامُ وأبوهُ، وإنَّ اللهَ لا يُضَيِّعُ أهلَهُ.

وكان البيتُ مرتفعًا من الأرضِ كالرابيةِ، تأتيهِ السيولُ، فتأخذُ عن يمينِهِ وشمالِهِ، فكانت كذلك حتى مَرَّتْ بهم رفقةٌ من جُرْهُمَ، أو أهلُ بيتٍ من جُرْهُمَ، مقبلينَ من طريقِ كَدَاءٍ، فنزلوا في أسفلِ مكةَ، فرأوا طائرًا عائفًا، فقالوا: إنَّ هذا الطائرَ ليدورُ على ماءٍ، لعهدنا بهذا الوادي وما فيهِ ماءٌ!

فأرسلوا جَرِيًّا أَوْ جَرِيَّيْنِ فإذا هم بالماءِ، فرجعوا فأخبروهم بالماءِ فأقبلوا، قال: وأمُّ إسماعيل عند الماءِ، فقالوا: أتأذنينَ لنا أن ننزلَ عندكِ؟ فقالت: نعم، ولكن لا حقَّ لكم في الماءِ، قالوا: نعم. قال ابنُ عباسٍ: قال النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: (فألفى ذلك أمُّ إسماعيل وهي تُحِبُّ الأُنْسَ). فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم، حتى إذا كان بها أهلُ أبياتٍ منهم، وشبَّ الغلامُ وتعلَّمَ العربيةَ منهم، وأنفسهم وأعجبهم حين شبَّ، فلما أدركَ زوَّجوهُ امرأةً منهم، وماتت أمُّ إسماعيل!

فجاء إبراهيم بعد ما تزوجَ إسماعيل يُطالعُ تَرِكَتَهُ، فلم يجد إسماعيل، فسأل امرأتَهُ عنهُ فقالت: خرج يبتغي لنا، ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم، فقالت: نحنُ بشرٌ، نحنُ في ضيقٍ وشدةٍ، فشكت إليهِ، قال: فإذا جاء زوجكِ فاقرئي عليهِ السلامَ، وقولي لهُ يُغَيِّرْ عتبةَ بابِهِ!

فلما جاء إسماعيل كأنَّهُ آنسَ شيئًا، فقال: هل جاءكم من أحدٍ؟ قالت: نعم، جاءنا شيخٌ كذا وكذا، فسأَلَنَا عنكَ فأخبرتُهُ، وسألني كيف عيشنا، فأخبرتُهُ أنَّا في جهدٍ وشدةٍ، قال: فهل أوصاكِ بشيءٍ؟ قالت: نعم، أمرني أن أقرأَ عليك السلامَ، ويقولُ: غَيِّرْ عتبةَ بابكَ، قال: ذاك أبي، وقد أمرني أن أُفَارِقَكِ، الحقي بأهلِكِ!

فطلَّقها، وتزوَّجَ منهم أخرى، فلبثَ عنهم إبراهيم ما شاء اللهُ، ثم أتاهم بعدُ فلم يجدْهُ، فدخل على امرأتِهِ فسألها عنهُ، قالت: خرج يبتغي لنا، قال: كيف أنتم؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم، قالت: نحنُ بخيرٍ وسِعَةٍ، وأثنتْ على اللهِ. فقال: ما طعامكم؟ قالت: اللحمُ. قال: فما شرابكم؟ قالت: الماءُ. قال: اللهمَّ

بارِكْ في اللحمِ والماءِ. قال النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: (ولم يكن لهم يومئذٍ حَبٌّ، ولو كان لهم دعا لهم فيهِ). قال: فهما لا يَخلو عليهما أحدٌ بغيرِ مكةَ إلا لم يُوافقاهُ. قال: فإذا جاء زوجكِ فاقرئي عليهِ السلامَ، ومُريهِ يُثَبِّتْ عتبةَ بابِهِ!

فلما جاء إسماعيل قال: هل أتاكم من أحدٍ؟ قالت: نعم، أتانا شيخٌ حسنُ الهيئةِ، وأثنتْ عليهِ، فسألني عنك فأخبرتُهُ، فسألني كيف عيشنا فأخبرتُهُ أنَّا بخيرٍ، قال: فأوصاكِ بشيءٍ، قالت: نعم، هو يقرأُ عليك السلامَ، ويأمرك أن تُثَبِّتْ عتبةَ بابكَ، قال: ذاك أبي وأنتِ العتبةُ، أمرني أن أُمْسِكَكِ!

ثم لبث عنهم ما شاء اللهُ، ثم جاء بعد ذلك، وإسماعيل يَبْرِي نَبْلًا لهُ تحت دَوْحَةٍ قريبًا من زمزمَ، فلما رآهُ قام إليهِ، فصنعا كما يصنعُ الوالدُ بالولدِ، والولدُ بالوالدِ، ثم قال: إنَّ اللهَ أمرني بأمرٍ، قال: فاصنع ما أمر ربكَ، قال: وتُعينني؟ قال: وأُعينكَ، قال: فإنَّ اللهَ أمرني أن أبني ها هنا بيتًا، وأشار إلى أَكْمَةٍ مرتفعةٍ على ما حولها، قال: فعند ذلك رفعا القواعدَ من البيتِ، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارةِ وإبراهيم يبني، حتى إذا ارتفعَ البناءُ، جاء بهذا الحجرِ، فوضعَهُ لهُ فقام عليهِ، وهو يبني وإسماعيل يُنَاوِلُهُ الحجارةَ، وهما يقولانِ: (رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ). قال: فجعلا يبنيانِ حتى يدورا حول البيتِ وهما يقولانِ: (رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ).

عند النمرود

في البخاري عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال، قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: هاجرَ إبراهيم عليه السلامُ بسارةَ، فدخل بها قريةً فيها ملِكٌ من الملوكِ، أو جبارٌ من الجبابرةِ، فقيل: دخل إبراهيم بامرأةٍ هي من أحسنِ النساءِ! فأرسل إليه: أن يا إبراهيم من هذه التي معك؟ قال: أختي، ثم رجع إليها فقال: لا تُكذِّبي حديثي، فإني أخبرتُهم أنك أختي، واللهِ إن على الأرضِ مؤمنٌ غيري وغيرُك! فأرسل بها إليه فقام إليها، فقامت توضَّأُ وتصلي، فقالت: اللهم إن كنتُ آمنتُ بك وبرسولِك، وأحصنتُ فرجي إلا على زوجي فلا تسلِّط عليَّ الكافرَ، فغُطَّ حتى ركضَ برجلِه. قال الأعرجُ: قال أبو سلمةَ بنُ عبدِ اللهِ: إن أبا هريرةَ قال: قالت: اللهم إن يَمُت يقالُ هي قتلته، فأُرسِلَ!

ثم قام إليها فقامت توضَّأُ تصلي وتقولُ: اللهم إن كنتُ آمنتُ بك وبرسولِك وأحصنتُ فرجي إلا على زوجي، فلا تسلِّط عليَّ هذا الكافرَ، فغُطَّ حتى ركضَ برجلِه. قال عبدُ الرحمنِ: قال أبو سلمةَ: قال أبو هريرةَ: فقالت: اللهم إن يَمُت قتلته فيقالُ هي قتلته، فأُرسِلَ في الثانيةِ، أو في الثالثةِ، فقال: واللهِ ما أرسلتُم إليَّ إلا شيطانًا، أرجعوها إلى إبراهيم، وأعطوها آجر، فرجعت إلى إبراهيم عليه السلام، فقالت: أشعرتَ أن اللهَ كبتَ الكافرَ وأخدمَ وليدةً؟!

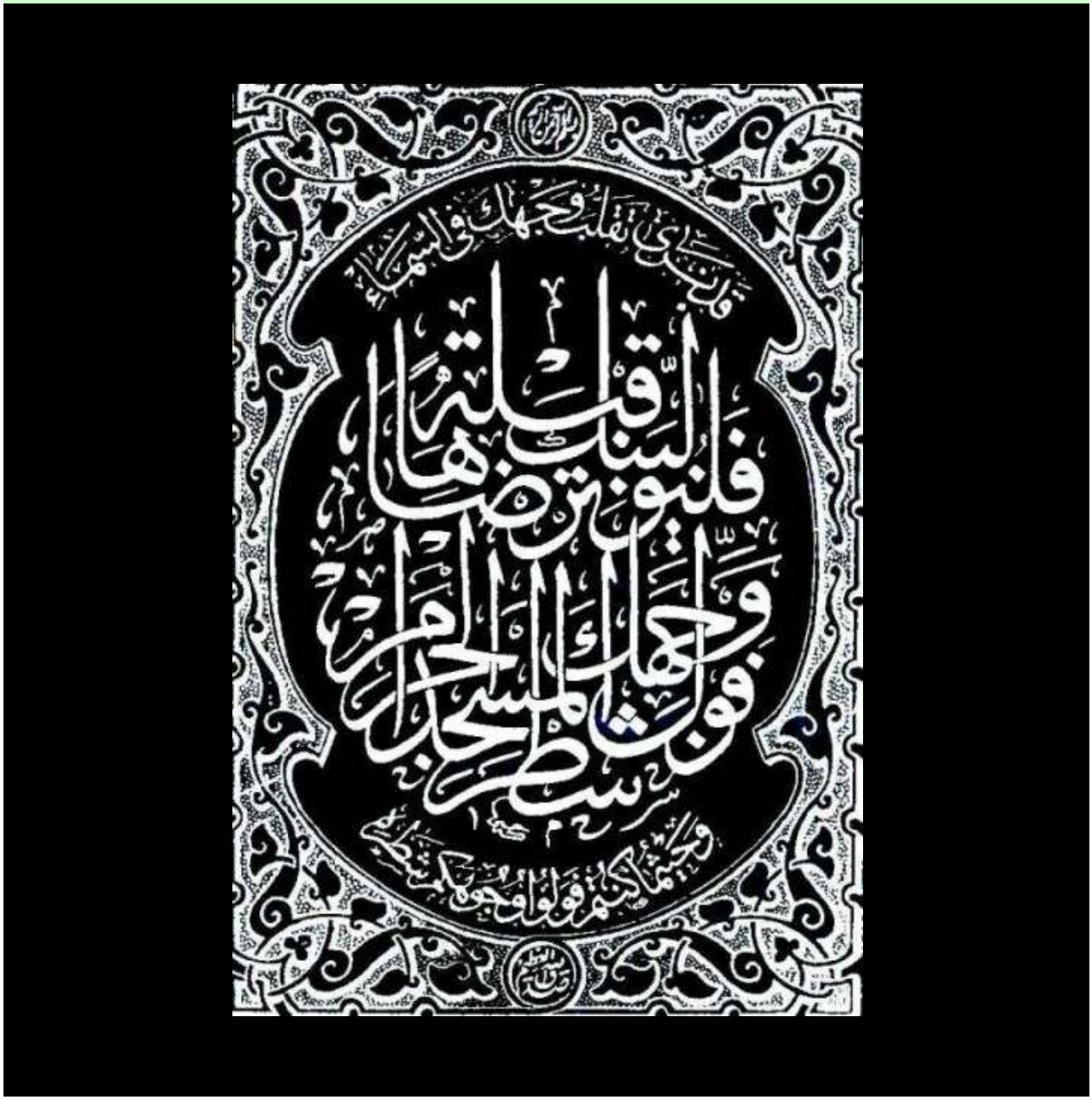

شبهات حول الخليل عليه السلام:

أثار أصحاب الأهواء بعض الشبهات حول نبي الله إبراهيم عليه السلام عدة، حتى شككوا في وجوده صلى الله عليه وسلم من الأساس، وزعموا أن حكايته مجرد أسطورة، وزعم أقوام أنه نبيهم ومنهم ولهم – على شركهم وانحرافهم عن التوحيد – وزعم فريق ثالث أنه كذب كذبات عدة – وحاشاه صلى الله عليه وسلم، فلننظر فيما قالوا:

هل كان وجوده عليه السلام خرافة وأكذوبة:

يشكك عدد من المستشرقين في وجود الخليل عليه السلام من الأساس، وتبعهم بعض المتعلمنين العرب، والمنبهرين بالغرب وطروحاته، ومنهم الدكتور طه حسين الذي قال جريًا على مناهج عدد من المستشرقين: (للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضًا، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي، فضلًا عن إثبات هذه القضية التي تحدثنا بهجرة إسماعيل بن إبراهيم إلى مكة ونشأة العرب المستعربة، ونحن مضطرون أن نرى في هذه القصة نوعًا من الحيلة في إثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة، وبين الإسلام واليهود، والقرآن والتوراة من جهة أخرى) طه حسين: حياته وفكره في ميزان الإسلام، للأستاذ أنور الجندي رحمه الله تعالى.

والقول بهذا طعن في القرآن وتقويض لحجيته، ولا يطعن في حجية القرآن وصدق ما فيه – كله – منصف فضلًا عن مسلم صادق، وليس وراء ذلك إلا هدم الإسلام بهدم مرجعيته وكتابه المقدس.

والحديث عن إبراهيم عليه السلام ورد باستفاضة في العهدين القديم والجديد كما سيأتي فيما بعد، وكان عدد من العرب قبل الإسلام حنفاء على دينه عليه السلام، ثم ورث الإسلام ملته الحنيفية في عدد كبير من الشعائر والشرائع كما مر؛ فضلًا عن أن القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أورد اسمه عليه الصلاة والسلام في القران الكريم تسعًا وستين مرة. ووردت باسمه سورة (هي رقم:14) من المصحف الشريف. وما بعد قول الله تعالى من قول، وما بعد بيانه من بيان!

وكان من أثر كلام الدكتور طه حسين أن انبرى للرد عليه وتفنيد مزاعمه عدد من العلماء كالأستاذ الرافعي رحمه الله، والدكتور محمد أحمد الغمراوي، وبعدهم الأستاذ أنور الجندي رحم الله تعالى الجميع!

كما شكل الأزهر لجنة لقراءة الكتاب وتقييمه، وكان أن كتبت حكمًا شديدًا عنيفًا، رفعته إلى شيخ الأزهر آنذاك، جاء فيه:

حضرة صاحب الفضيلة مولانا الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر: وبعد، فقد اجتمعت اللجنة المؤلفة بأمر فضيلتكم من الموقعين عليه لفحص كتاب طه حسين المسمفي الشعر الجاهلي" بمناسبة ما قيل عنه من تكذيب القرآن الكريم، واطلعت على الكتاب،وهذا ما نرفعه إلى فضيلتكم عنه بعد فحصه واستقراء ما فيه:

يقع الكتاب في 183 صفحة، وموضوعه إنكار الشعر الجاهلي، وأنه منتحل بعد الإسلام لأسباب – زعمها – وقال إنه بنى بحثه على التجرد من كل شيء حتى من دينه وقوميته؛ عملا بمذهب ديكارت الفرنسي!

والكتاب كله مملوء بروح الإلحاد والزندقة، وفيه مغامز عديدة ضد الدين مبثوثة فيه لا يجوز بحال أن تلقى إلى تلامذة لم يكن عندهم من المعلومات الدينية ما يتقون به هذا التضليل المفسد لعقائدهم، والموجب للخلاف والشقاق في الأمة، وإثارة فتنة عنيفة دينية ضد دين الدولة ودين الأمة!

وترى اللجنة أنه إذا لم تكافح هذه الروح الإلحادية، ويقتلع هذا الشر من أصله، وتطهر دور التعليم منالادينية" التي يعمل بعض الأفراد على نشرها بتدبر وإحكام تحت ستار حرية الرأي، اختل النظام، وفشت الفوضى، واضطرب حبل الأمن؛ لأن الدين هو أساس الطمأنينة والنظام!

الكتاب وضع في ظاهره لإنكار الشعر الجاهلي، ولكن المتأمل قليلًا يجده دعامة من دعائم الكفر، ومعولا لهدم الأديان، وكأنه ما وضع إلا ليأتي عليها من أصولها؛ وبخاصة الدين الإسلامي، فإنه تذرع بهذا البحث إلى إنكار أصل كبير من أصول اللغة العربية والشعر والنثر قبل الإسلام مما يرجع إليه في فهم القرآن والحديث، هذا مما يرمي إليه الكتاب في جملته، ولنذكر نبذًا منه بعضها كفر صريح وبعضها يرمي إلى الإلحاد والزندقة! فنقول: قال في صفحة (26) ما نصه:

للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضًا، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي، فضلًا عن إثبات هذه القصة التي تحدثنا بهجرة إسماعيل إلى مكة!

أنكر المؤلف بهذا هجرة سيدنا إبراهيم مع ولده إسماعيل عليهما السلام، وقال إن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي، وهو تكذيب صريح لقول الله تعالى في سورة إبراهيم حكاية عنه عليه الصلاة والسلام: (وإذ قال إبراهيم: رب اجعل هذا البلد آمنًا،واجنبني وبني أن نعبد الأصنام* رب إنهن أضللن كثيرًا من الناس، فمن تبعني فإنه مني، ومن عصاني فإنك غفور رحيم* ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم، ربنا ليقيموا الصلاة، فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) إبراهيم:35-37!

وقال في الصفحة نفسها: نحن مضطرون إلى أن نرى في هذه القصة – يريد قصة الهجرة – نوعًا من الحيلة لإثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة، وبين الإسلام واليهودية والقرآن والتوراة من جهة أخرى!

وهو في هذا النص يصرح بأن القرآن اختلق هذه الصلة بين إسماعيل والعرب ليحتال على جلب اليهود وتأليفهم، ولينسب إلى أصل واحد زورًا وبهتانًا لأسباب سياسية أو دينية! وهذا من منتهى الفجور والفحش والطعن على القرآن الكريم في إثباته نبوة إبراهيم للعرب في قوله تعالى: (وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم) الحج:77!

وقال في صفحة/27: وقد كانت قريش مستعدة كل الاستعداد لقبول مثل هذه الأسطورة – الهجرة المذكورة – في القرن السابع للمسيح...إلى أن قال في صفحة **29**: إذًا فليس ما يمنع قريشًا من أن تقبل هذه الأسطورة التي تفيد أن الكعبة من تأسيس إسماعيل وإبراهيم، كما قبلت روما قبل ذلك – ولأسباب مشابهة – أسطورة أخرى صنعتها لها اليونان تثبت أن روما متصلةبإينياس بن بريان" صاحب طروادة، أمر هذه القصة إذًا واضح. فهي حديثة العهد قبيل

الإسلام، واستغلها الإسلام لسبب ديني، وقبلتها مكة لسبب ديني وسياسي أيضًا، وإذن فيستطيع التاريخ الأدبي واللغوي ألا يحفل بها عندما يريد أن يتعرف أصل اللغة العربية الفصحى!

وهو تكذيب صريح لقول الله تعالى: (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل) البقرة:127، ولقوله تعالى: (وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت ألا تشرك بي شيئًا، وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود* وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالًا، وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) الحج:26، وقوله تعالى: (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى، وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود: البقرة: 125، إلى غير ذلك من الآيات التي في هذا الموضوع!

وهو فوق تكذيبه للقرآن يقول إن فيه تدليسًا واحتيالًا لأسباب سياسية ودينية من أجلها اختلق هذه الأخبار – بهذا وأمثاله يقرر المؤلف أن القرآن لا يوثق بأخباره ولا بما فيه من التاريخ!

وكم يترك هذا الكفر الفاحش في عقول الطلبة من أمر سيئ، وهدم لعقائدهم ودينهم!؟

وماذا بقي في القرآن من ثقة وحرمة في نفوسهم بعد هذا التكذيب؟!

وقال في صفحة/33: وهناك شيء بعيد الأثر لو أن لدينا أو لدي غيرنا من الوقت ما يمكننا من استقصائه أو تفصيل القول فيه، وهو أن القرآن الذي تلي بلغة واحدة ولهجة واحدة هي لغة قريش ولهجتها لم يكد يتناوله القراء من القبائل المختلفة حتى كثرت قراءاته وتعددت اللهجات فيه، وتباينت تباينًا كثيرًا.... إلى أن ن قال: إننا نشير إلى اختلاف آخر في القراءات يقبله العقل، ويسيغه النقل، وتقتضيه ضرورة اختلاف اللهجات بين قبائل العرب التي لم تستطع أن تغير حناجرها وألسنتها وشفاهها لتقرأ القرآن كما يتلوه النبي صلى الله عليه وسلم وعشيرته من قريش، فقرأته كما كانت تتكلم.....إلي آخر ما قال! وهذا تصريح منه بأن القراءات لم تكن منقولة كلها عن النبي صلي الله عليه وسلم؛ بل هي من اختلاف لهجات القبائل، فالسبع المتواترة ليست عنده واردة عن النبي صلي الله عليه وسلم، ومعلوم في أصول الدين أن السبع متواترة، وأن طريقها الوحي فمنكرها كافر!

وعدا ما سردناه توجد صحائف عديدة فيها مغامز مؤلمة، منها ما قاله في صفحة 81: وشاعت في العرب أثناء ظهور الإسلام وبعده فكرة أن الإسلام يجدد دين إبراهيم!

وفي الصفحة التي قبلها: أما المسلمون فقد أرادوا أن يثبتوا للإسلام أولية في بلاد العرب كانت قبل أن يبعث النبي، وأن خلاصة الدين الإسلامي وصفوته هي خلاصة الدين الحق الذي أوحاه الله إلى الأنبياء من قبل!

وهو في هذا يكذب قوله تعالى: (ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين) النحل:123، وقوله تعالى: (إن أولي الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين أمنوا) آل عمران:67، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة في هذا الموضوع، ومنها غير ذلك كثير مما هو مبثوث في الكتاب!

ولا ريب في أن هذا هو عين ما يطعن به المشركون علي القرآن في مبدأ أمره، قال تعالى في سورة الفرقان: (وقال الذين كفروا: إن هذا إلا إفك افتراه، وأعانه عليه قوم آخرون، فقد جاءوا ظلمًا وزورًا* وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملي عليه بكرة وأصيلًا) الفرقان:4-5!

فاللجنة ترفع إلي فضيلتكم ما وصلت إليه على سرعة من الوقت مما سطره المؤلف من الكفر الصريح، وتترك ما ينطوي في ثناياه من الإلحاد والزندقة مما لا يخفى علي الناظر؛ نرفعه مطالبين فضيلتكم والحكومة بوضع حد لهذه الفوضى الإلحادية؛ خصوصًا التي تنبت في التعليم لهدم الدين بمعول الزندقة كل يوم، فما نفرغ من حادثة إلا ونستقبل حوادث لا تدع المؤمن مطمئنا على دينه!

نطلب فضيلتكم والحكومة بذلك حرصًا علي أبناء الدولة أن يتفشى هذا الداء فيهم، وهم رجال المستقبل، وسيكون بيدهم الحل والعقد في مهام الأمور، ونحن لا نفهم كيف تصرف أموال المسلمين وأوقافهم علي تعليم نتيجته هذا الإلحاد الذي يبثه الداعي، ويتقاضي عليه مرتبًا ضخمًا من هذه الأموال!

وهل بهذه الطريقة وعلى النحو تخدم وزارة المعارف أبناء الأمة ورجال الغد وتبني صرح التعليم والتربية؟

26 شوال سنة 1344 هجرية

الإمضاءات

محمود الديناري عبد المعطي الشرشيمي محمد عبد السلام القباني

عبد ربه مفتاح عبد الحكيم عطا محمد هلال الإبياري

عبد الرحمن المحلاوي محمد علي سلامة

عن: تحت راية القرآن: 129-132 لمصطفى صادق الرافعي رحمه الله.

شبهة أنه عليه السلام يهودي أو نصراني كما زعموا:

يزعم اليهود أن إبراهيم عليه السلام نبيهم وجدهم، وكذلك يزعم النصارى. وقد أكذبهم الله تبارك وتعالى بنص صريح، في سورة آل عمران/67: (ما كان إبراهيم يهوديًّا، ولا نصرانيًّا، ولكن كان حنيفًا مسلمًا، وما كان من المشركين)!

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى في الآية: ينكر تبارك وتعالى على اليهود والنصارى في محاجتهم في إبراهيم الخليل عليه السلام، ودعوى كل طائفة منهم، أنه كان منهم، كما قال ابن عباس رضي اللّه عنه: اجتمعت نصارى نجران وأحبار يهود عند رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فتنازعوا عنده، فقالت الأحبار: ما كان إبراهيم إلا يهوديًّا، وقالت النصارى: ما كان إبراهيم إلا نصرانيًّا، فأنزل اللّه تعالى: (يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم) الآية. أي: كيف تدعون أيها اليهود أنه كان يهوديًّا وقد كان زمنه قبل أن ينزل اللّه التوراة على موسى؟ وكيف تدعون أيها النصارى أنه كان نصرانيًّا، وإنما حدثت النصرانية بعد زمنه بدهر؟ ولهذا قال تعالى: (أفلا تعقلون) ثم قال تعالى: (ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم، فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم)؟ هذا إنكار على من يحاج فيما لا علم له به، فإن اليهود والنصارى تحاجوا في إبراهيم بلا علم، ولو تحاجوا فيما بأيديهم منه علم مما يتعلق بأديانهم التي شرعت لهم إلى حين بعثة محمد صلى اللّه عليه وسلم لكان أولى بهم، وإنما تكلموا فيما لا يعلمون، فأنكر اللّه عليهم ذلك، وأمرهم برد ما لا علم لهم به إلى عالم الغيب والشهادة، الذي يعلم الأمور على حقائقها وجلياتها..... ثم قال تعالى: { ما كان إبراهيم يهوديًّا ولا نصرانيًّا ولكن كان حنيفًا مسلمًا} أي متحنفًا عن الشرك قاصدًا إلى الإيمان (وما كان من المشركين) وهذه الآية كالتي تقدمت في سورة البقرة: (وقالوا كونوا هودًا أو نصارى تهتدوا) الآية، ثم قال تعالى: (إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا واللّه ولي المؤمنين) يقول تعالى: أحق الناس بمتابعة إبراهيم الخليل الذين اتبعوه على دينه (وهذا النبي) يعني محمدًا صلى اللّه عليه وسلم والذين آمنوا من أصحابه المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بعدهم!

وقال في الظلال: ما كان إبراهيم يهوديًّا ولا نصرانيًّا، ولكن كان حنيفًا مسلمًا، وما كان من المشركين)....وهذه الحقيقة متضمنة في قوله قبلها (ولكن كان حنيفًا مسلمًا) ولكن إبرازها هنا يشير إلى

عدة من لطائف الإشارة والتعبير: يشير أولًا إلى أن اليهود والنصارى – الذين انتهى أمرهم إلى تلك المعتقدات المنحرفة – مشركون؛ ومن ثم لا يمكن أن يكون إبراهيم يهوديًّا ولا نصرانيًّا، ولكن حنيفًا مسلمًا!

ويشير إلى أن الإسلام شيء والشرك شيء آخر، فلا يلتقيان: الإسلام هو التوحيد المطلق بكل خصائصه، وكل مقتضياته، ومن ثم لا يلتقي مع لون من ألوان الشرك أصلًا!

ويشير ثالثًا إلى إبطال دعوى المشركين من قريش كذلك أنهم على دين إبراهيم، وسدنة بيته في مكة؛ فهو حنيف مسلم، وهم مشركون (وما كان من المشركين)! وما دام أن إبراهيم عليه السلام كان حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين، فليس لأي من اليهود أو النصارى – أو المشركين أيضًا – أن يدعي وراثته، ولا الولاية على دينه، وهم بعيدون عن عقيدته؛ والعقيدة هي الوشيجة الأولى التي يتلاقى عليها الناس في الإسلام، حين لا يلتقون على نسب ولا أرومة ولا جنس ولا أرض، إذا أنبتت تلك الوشيجة التي يتجمع عليها أهل الإيمان؛ فالإنسان في نظر الإسلام إنسان بروحه، بالنفخة التي جعلت منه إنسانًا! ومن ثم فهو يتلاقى على العقيدة أخص خصائص الروح فيه، ولا يلتقي على مثل ما تلتقي عليه البهائم من الأرض والجنس والكلأ والمرعى والحد والسياج!

والولاية بين فرد وفرد، وبين مجموعة ومجموعة، وبين جيل من الناس وجيل، لا ترتكن إلى وشيجة أخرى سوى وشيجة العقيدة، يتلاقى فيها المؤمن والمؤمن، والجماعة المسلمة والجماعة المسلمة، والجيل المسلم والأجيال المسلمة من وراء حدود الزمان والمكان، ومن وراء فواصل الدم والنسب، والقوم والجنس؛ ويتجمعون أولياء – بالعقيدة وحدها – والله من ورائهم ولي الجميع: (إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه، وهذا النبي، والذين آمنوا. والله ولي المؤمنين).....

وهذه الصورة هي أرقى صورة للتجمع الإنساني تليق بالكائن الإنساني، وتميزه من القطيع! كما أنها هي الصورة الوحيدة التي تسمح بالتجمع بلا قيود؛ لأن القيد الواحد فيها اختياري يمكن لكل من يشاء أن يفكه عن نفسه بإرادته الذاتية، فهو عقيدة يختارها بنفسه فينتهي الأمر، على حين لا يملك الفرد أن يغير جنسه – إن كانت رابطة التجمع هي الجنس – ولا يملك أن يغير قومه – إن كانت رابطة التجمع هي

القوم – ولا يملك أن يغير لونه – إن كانت رابطة التجمع هي اللون – ولا يملك بيسر أن يغير لغته إن كانت رابطة التجمع هي اللغة – ولا يملك بيسر أن يغير طبقته – إن كانت رابطة التجمع هي الطبقة – بل قد لا يستطيع أن يغيرها أصلًا إن كانت الطبقات وراثة كما في الهند مثلًا! ومن ثم تبقى الحواجز قائمة أبدًا دون التجمع الإنساني، ما لم ترد إلى رابطة الفكرة والعقيدة والتصور!

والبشرية إما أن تعيش – كما يريدها الإسلام – أناسيّ تتجمع على زاد الروح وسمة القلب وعلامة الشعور، وإما أن تعيش قطعانًا خلف سياج الحدود الأرضية، أو حدود الجنس واللون؛ وكلها حدود مما يقام للماشية في المرعى كي لا يختلط قطيع بقطيع!

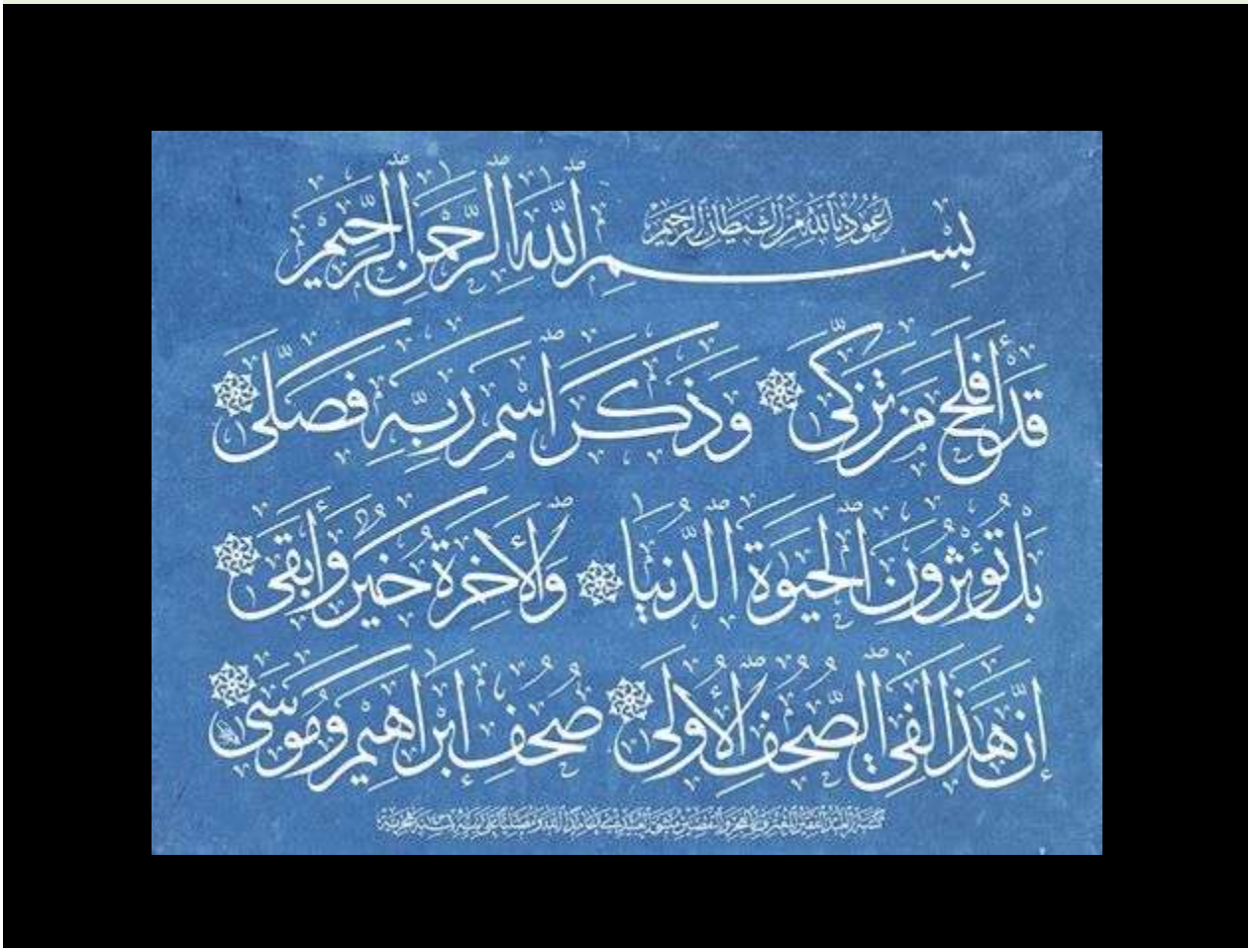

معاريض لا كذب

ومن الشبهات: موضوع الكذبات الثلاث التي ورد ذكرها في حديث البخاري التالي، فقد استمسك بعض من لا يعرف اللغة، ولا يوقر الأنبياء، ولا يعتقد عصمتهم، ولزوم صدقهم بظاهر النص، جهلًا، أو مكرًا وكيدًا، وتشكيكًا.

في مسلم عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال، قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم:

(لم يكذبْ إبراهيم النبيُّ عليه السلامُ قط إلا ثلاثَ كذْباتٍ:

اثنتين في ذاتِ اللهِ، قوله: (إني سقيمٌ)، وقولُه: (بل فعله كبيرُهم هذا)!

وواحدة في شأنِ سارَّةَ؛ فإنه قدم أرضَ جبَّارٍ ومعه سارَّةُ – وكانت أحسنَ الناسِ –فقال لها: إن هذا الجبارَ، إن لا يعلم أنك امرأتي، يغلبني عليك، فإن سأل فأخبريه أنك أختي، فإنك أختي في الإسلام؛ فإني لا أعلمُ في الأرضِ مسلمًا غيري وغيرِك!

فلما دخل أرضَه رآها بعضُ أهلِ الجبَّارِ، أتاه فقال له: لقد قدم أرضَك امرأةٌ لا ينبغي لها أن تكونَ إلا لك!

فأرسل إليها فأتى بها، فقام إبراهيم عليه السلام إلى الصلاةِ، فلما دخلت عليه لم يتمالكْ أن بسط يدَه إليها، فقُبِضَتْ يدُه قبضةً شديدةً، فقال لها: ادعي اللهَ أن يُطْلِقَ يَدي ولا أضرُّك، فَفَعَلَتْ!

فعادَ، فَقُبِضَتْ أشدَّ من القبضةِ الأولى، فقال لها مثلَ ذلك، ففعلتْ!

فعاد، فقُبِضتْ أشدَّ من القبضتين الأُوليين، فقال: ادعي اللهَ أن يطلقَ يدي؛ فلك اللهُ ألا أضرَّكِ! ففعلتْ، وأطلقتْ يدَه. ودعا الذي جاء بها فقال له: إنك إنما أتيتني بشيطانٍ، ولم تأتني بإنسانٍ، فأخرجْها من أرضي، وأعطها هاجرَ!

قال فأقْبَلَت تمشي! فلما رآها إبراهيم عليه السلام انصرف، فقال لها: مهيمْ؟ قالت: خيرًا! كفَّ اللهُ يدَ الفاجرِ، وأخدم خادِمًا! قال أبو هريرة: فتلك أمُّكم يا بني ماءِ السماءِ.

جاء في موقع بيان الإسلام: http://bayanelislam.net/Suspicion.aspx?id=03-02-0025 وبعد دراسة ضافية خلاصتها (بتصرف يسير):

- إن حديث (لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات) حديث صحيح، رواه البخاري ومسلم، فهو بذلك في أعلى درجات الصحة، فلا مطعن في سنده من قبل أي من العلماء الأجلاء .
- إن الأنبياء معصومون من جميع الذنوب، ومنها الكذب، لأنه يتنافى مع العصمة الثابتة لهم، ولا يجوز لأحد – فضلا عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم – أن ينسب لنبي من أنبياء الله الكذب .
- إن الحديث الذي استدل به المغرضون لا ينسب الكذب إلى إبراهيم عليه السلام، وإنما دل على أن إبراهيم قد استخدم المعاريض في كلامه، وفي المعاريض مندوحة عن الكذب؛ أي: فسحة ومتسع، وظهر ذلك من أن قوله: «إني سقيم» أي: إني سأسقم، أو إني سقيم بما قدر علي من الموت، أو إني سقيم الحجة على الخروج معكم، وقوله (بل فعله كبيرهم) للاستدلال على أن الأصنام ليست بآلهة، فمعناه: (إن كانوا ينطقون) فقد فعله كبيرهم هذا، وقوله (هذه أختي) أراد أنها أخته في الإسلام، فدل ذلك على أنها من باب المعاريض المحتملة للأمرين، فليست من الكذب!
- لقد أطلق النبي صلى الله عليه وسلم الكذب في هذا الحديث على الأمور الثلاثة؛ لأن إبراهيم عليه السلام قال قولًا يعتقده السامع كذبًا، لكنه إذا حقق لم يكن كذبًا، ومن ثم فلا تعارض بين هذا الحديث، ووصف الله إبراهيم عليه السلام بأنه كان صديقًا نبيًّا!

وجهات نظر مختلفة ولافتة:

ومما يدخل في الشبهات الغريبة أنني أثناء تنقيبي عن الموضوع وجدت مقالة طريفة وغريبة، تنسف مفاهيم سائدة ومستقرة، حول مكان وزمان مولد الخليل عليه السلام، وتفاصيل حركته ودعوته، وبقدر ما هي غريبة، بقدر ما تثير تساؤلات، وتأملات، فاقرأ معي: [http://www.tajdeed.org/article.aspx?id=10208]

بدأت المقالة بسؤال واضح: أين ولد نبي الله إبراهيم عليه السلام؟ وهل دخل فلسطين فعلًا أو بلاد وادي النيل؟

وأجابت: من أكبر الأمور التي شابها التزوير والتحريف هو ما عرف بمسيرة نبي الله إبراهيم عليه السلام، حيث عرفت الثقافة العالمية المتأثرة بالتوراة السبعونية هذه المسيرة على أنها من أور جنوب العراق، إلى حران في سوريا، إلى فلسطين، إلى مصر وادي النيل، وربطت رحلة نبي الله إبراهيم (المتخيلة(تلك بأحقية بني إسرائيل في وراثة الأرض التي مر عليها إبراهيم تبعًا لوعد الرب، وهذه من أكبر الأساطير التي بنيت عليها ما تسمى بدولة إسرائيل الغاصبة، والحقيقة التي يجهلها أغلب الناس أن إبراهيم عليه السلام لم يولد في العراق، ولم يدخل فلسطين، ولا بلاد وادي النيل (!) وأن أحداث الجغرافيا الحقيقية لكل مسيرته مع ابنيه إسماعيل ويعقوب، وزوجتيه سارة وهاجر عليهم السلام إنما كانت في حدود ضيقة من سهول وجبال السراة في شبه الجزيرة العربية ونلخصها كالتالي:

1. مسقط رأس إبراهيم عليه السلام: ولد نبي الله إبراهيم في حوران النجدية، الواقعة على مسافة 300 كم تقريبًا جنوب مكة، في الجهة الشرقية من سهول جبال السراة.

2. إبراهيم عليه السلام وآباؤه في حوران: دعا إبراهيم قومه إلى عبادة الله، وحطم لاحقًا أصنام المعبد في حوران (النجدية) فألقي القبض عليه (قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إبراهيم* قَالُوا

فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ* قَالُوا أَأنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إبراهيم) الأنبياء:60-62. وصدر الحكم بإعدام النبي الجليل حرقًا (قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ) فأنجاه الله تعالى: (قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلاَمًا عَلَى إبراهيم) الأنبياء:68، 69.

3. خروج إبراهيم عليه السلام من حوران إلى منطقة مكة: بعد نجاته من النار قرر إبراهيم عليه السلام مغادرة موطن آبائه (قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ* فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمْ الأَسْفَلِينَ* وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ) الصافات:97-99.

وأخبرنا الله تعالى أن إبراهيم عليه السلام توجه حينذاك مع لوط عليه السلام إلى الأرض المباركة للعالمين، وهي مكة المكرمة: (وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ) (الأنبياء:71) حيث سكن بدايةً في عرفة، ولم يكن يعرف مكان البيت تحديدًا حينها. فأقام وزوجته سارة في موقع مسجد نمرة، الذي لم يزل قائمًا في عرفة، تخليدًا لموقع سكن الخليل الأول!

ومسجد نمرة كان يقع في حقل زراعي لشخص يسمى عفرون بن صوحر. فتحور هذا اللفظ إلى خبرون أو حبرون باللسان السرياني. كما تحور اسم وادي عرفة إلى عربة. ومن ثم أسقط الاسمان بعد تحويرهما على فلسطين.

4. مدة إقامة إبراهيم عليه السلام في منطقة عرفة وبطن مكة: يوضح تسلسل الآيات أن إبراهيم عليه السلام خرج من موطن آبائه وهو فتىً يافع: (قَالُوا: مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمنالظَّالِمِينَ* قَالُوا: سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ، يُقَالُ لَهُ إبراهيم)(الأنبياء:59-60). فقد ألقي في النار مباشرة بعد تحطيمه لأصنامهم، وحال نجاته منها غادر نحو مكة، وهناك رُزق بابنه الأول بعد أن كبر وتقدم في السن: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ) إبراهيم:39. فهذا التسلسل يشير إلى أن إبراهيم سكن مكة مدة طويلة، أي من سن الفتوة إلى الممات بعد أن تعدى المائة عام.

5. إبراهيم العبري: لُقب إبراهيم عليه السلام ذو اللسان السرياني بين أهل منطقة وادي عرفة بـ"العابر" أوالعبري". وكانت عادتهم إطلاق هذا الاسم على كل من يعبر إليهم من الجهة الشرقية من وراء قمم جبال السراة. فاستغل اليهود هذه الحقيقة البدائية؛ وذلك بتحميل لفظة عبري بأكثر مما تعني، فجعلوها مفردة تعكس خصوصية تمت لشعب خاص ذي دين ولغة ومقومات أممية فريدة، ثم تقمصوا هذا اللفظ؛ لتمييز أنفسهم عن باقي العرب، ولإضفاء كينونة وخصوصية مفتعلة لأنفسهم!

6. هاجر المصرية – زوجة إبراهيم: كان من ضمن الأعمال التي اشتغل بها إبراهيم عليه السلام رعي الأغنام والتجارة في الأسواق المجاورة لمكة، والتي كانت تعرف آنذاك بالأمصار، ثم تحول اسمها في المنطقة لاحقًا إلى الأسواق، كسوق عكاظ وسوق ذو المجاز ومجنة وغيرها. وقد اشترى من أحد تلك الأمصار جارية، وتزوجها لاحقًا، وهي هاجر المصرية.

7. ولادة إسماعيل في عرفة: دعا إبراهيم عليه السلام بعد إقامته في عرفة بهذا الدعاء (رَبِّ هَبْ لِي مِن الصَّالِحِينَ) الصافات:100. فاستجيبت دعوته بقدوم بكره إسماعيل عليه السلام بعد أن تقدم به السن (فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلاَمٍ حَلِيمٍ) الصافات:101.

8. التواصل مع موطن الآباء في حوران: لم يعتزل إبراهيم عليه السلام أهله في حوران أثناء إقامته في عرفة، بل واصل دعوتهم؛ حتى يئس من أبيه، بعد أن هدده بالقتل رجمًا هذه المرة: (قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إبراهيم؟! لَئِن لم تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ، وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا* قَالَ: سَلاَمٌ عَلَيْكَ، سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي؛ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا) مريم:46، 47.

9. اعتزال إبراهيم في منطقة مكة: قرر إبراهيم عليه السلام لاحقًا عدم التواصل مع قوم آبائه في حوران: (وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ، وَأَدْعُو رَبِّي؛ عَسَى أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا) مريم:48.

10. انفصال لوط عن إبراهيم: افترق لوط عن إبراهيم عليه السلام بسبب شح المراعي غير المملوكة في عرفة؛ ما يدلّ على اكتظاظ المنطقة بالسكان، فتحرك لوط عليه السلام إلى أقرب منطقة من مكة توجد فيها مراع غير مملوكة. أما إبراهيم عليه السلام فدعا ربه أن يرزقه قطعة أرض في محل إقامته في عرفة، ليستقر فيها في غربته، ويرعى غنمه. فرزقه الله الأرض التي يحددها ببصره. ويبدو أنها كانت تحوي جدولًا نهريًا صغيرًا، ولعله الوادي المعروف بوادي عردة، المتاخم لوادي عرفة إلى اليوم!

11. التعرف على مكان البيت: أذن الله لإبراهيم عليه السلام بالتعرف على مكان البيت العتيق، في بطن وادي مكة، الذي كان مهجورًا في ذلك الزمان؛ لخلوه من مصادر المياه. وكان يبعد قرابة 22 كم عن مضارب خيام إبراهيم عليه السلام في عرفة: (وَإِذْ بَوَّأنا لإبراهيم مَكَان الْبَيْتِ: أن لاَ تُشْرِكْ بِي شَيْئًا، وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) الحج:26. فأسكن إبراهيم زوجته وابنه إسماعيل عليه السلام ببطن الوادي (رَبَّنَا إني أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ؛ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً منالنَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ، وَارْزُقْهُمْ منالثَّمَرَاتِ؛ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) إبراهيم:37. وبذلك وضع إبراهيم عليه السلام يده على بطن الوادي المقدس سلميًا؛ تمهيدًا لبناء البيت ليحيي تلك المنطقة، ويعود إليها الناس، كما كان الحال منذ زمن آدم إلى طوفان نوح عليه السلام.

12. عودة الماء إلى بطن الوادي: بعد أن استجيبت دعوة النبي الجليل، وظهر الماء بطريقة إعجازية تحت أقدام ابنه إسماعيل، زّم إبراهيم البئر وتملكه؛ كمقدمة لإشاعته للناس، وإحياء المنطقة. وسُمي البئر ببئر سبعة أو شبعة، وهو يُعرف اليوم ببئر زمزم، كما سُمي بطن الوادي باسم البئر في ذلك الزمان، حتى استعاد اسمه العريق لاحقًا، وصار يعرف بمكة!

13. تأسيس مذبح منى والعقبات: كبر إسماعيل عليه السلام، فكانت حادثة الرؤيا التي تلتها نية ذبح إسماعيل: (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ: يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ؛ فَانظُرْ مَاذَا

تَرَى؟! قَالَ: يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ، سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ* فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ* وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إبراهيم* قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا؛ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ* إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاء الْمُبِينُ* وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ* وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ* سَلَامٌ عَلَى إبراهيم* كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ* إِنَّهُ منعِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ* وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ) الصافات: 102-112. اصطحب إبراهيم عليه السلام ابنه إسماعيل عليه السلام إلى وادي منى، المحاذي لوادي عرفة كي ينفذ الرؤيا الإلهية، فتركت هذه الحادثة العظيمة معالم العقبات أو الجمرات الثلاث القائمة في منى إلى اليوم، قرب مذبح منى. وجميعها من شعائر الحج حتى اليوم وإلى يوم الدين.

14. ولادة إسحق ويعقوب عليه السلام بعد الاعتزال بمكة، ونزول العذاب على قرية لوط عليه السلام: جاءت البشرى بمولد إسحق بعد حادثة الذبح، كما هو واضح من تسلسل الأحداث في الآيات أعلاه، وذلك عندما بعث الله الملائكة المرسلين لإنزال العذاب على قوم لوط عند موقع مسجد الخيف بالقرب من الجمرات الثلاث، أو في نمرة حيث مضارب خيامه مكان مسجد نمرة.

كما بشروه بمولوده الثاني إسحق عليه السلام بعد أن تقدم هو وزوجه سارة في العمر: (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إبراهيم الْمُكْرَمِينَ* إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا: سَلَامًا، قَالَ: سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ* فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ، فَجَاء بِعِجْلٍ سَمِينٍ* فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ: أَلَا تَأْكُلُونَ* فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً، قَالُوا: لَا تَخَفْ، وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ* فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ، فَصَكَّتْ وَجْهَهَا، وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ) الذاريات:24- 29.

كما جاءت البشارة بإسحق عليه السلام بعد أن قرر إبراهيم عليه السلام مقاطعة أبيه بحوران (فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إسحق، وَيَعْقُوبَ، وَكُلاًّ جَعَلْنَا نَبِيًّا) مريم:49.

15. بناء البيت وإعلان الحج: أذن الله ببناء البيت بعد أن استقر إبراهيم عليه السلام في موقعه قبل أن يكبر إسماعيل عليه السلام: (وَإِذْ يَرْفَعُ إبراهيم الْقَوَاعِدَ من الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ؛ رَبَّنَا تَقَبَّلْ

مِنَّا، إنكَ أنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) البقرة:127. ثمَّ أعلن إبراهيم عليه السلام للناس قاطبة عن الحج الأكبر: (وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا، وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ، يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ* لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ، وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ؛ عَلَى مَا رَزَقَهُم من بَهِيمَةِ الأنعَامِ، فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ* ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ، وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ، وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ) الحج:29.

وبدأ إبراهيم عليه السلام يذكّر ويعلّم المقيمين والتجار الوافدين على وادي عرفة علوم التوحيد، بعد أن كانوا قائمين على عبادة الكواكب والشمس في تلك المنطقة. كما ذكّر عرب الجزيرة – بكل أطيافهم وألسنتهم وألوانهم – فضل بيت الله الذي كان يُعرف باللسان السرياني ببيت إيل. وقد آمن جمعٌ من العرب بشتى لهجاتهم من السريان والفصحاء وغيرهم بالنبي السرياني الطاعن في السن، وأخذوا عنه أصول الدين القيّم ومناسك الحج، وصار من ثبت منهم على ذلك يُعرفون بالحنفاء؛ حتى عهد خاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم. وسُمي بطن الوادي أيام إبراهيم عليه السلام ببرية بئر شبعة، وازدحم بطن الوادي بالناس لعودة المياه إليه.

ونحن على يقين أن العرب قبل إبراهيم عليه السلام كانوا يعلمون قدسية الوادي منذ زمن آدم أبي الإنسانية مرورا بآدم النبي، وإدريس، ونوح عليهم السلام، ولكن انقطع الناس عنه بسبب انقطاع المياه عن الوادي؛ نتيجة التغيرات التي أحدثها طوفان نوح عليه السلام بالمنطقة.

16. تمصير إبراهيم عليه السلام لمكة: ثم تحول بطن الوادي تدريجيًا إلى مصر تجاري – بعد أن تحولت إليه خطوط القوافل المجاورة – لتوفر المياه، وتكاثر الناس فيه بالمقارنة مع حقبة ما قبل إبراهيم عليه السلام: (وَإِذْ قَالَ إبراهيم: رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا، وَارْزُقْ أَهْلَهُ منالثَّمَرَاتِ؛ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ! قَالَ: وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا، ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إلى عَذَابِ النَّارِ، وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) البقرة:**126**، فصار يُنقل إليه ومنه ثمرات البلدان على ظهور الإبل للتجارة.

http://www.tajdeed.org/article.aspx?id=10208] [

ورغم أن هذا الكلام قد يبدو لبعض المتحمسين وجيهًا ومنطقيًّا ومتسلسلا، إلا أنه كلام مرسل بلا أدلة تدعمه، وخالف كثيرًا من نصوص السنة المشرفة، ولم يسبق إليه أحد من كبار مؤرخي الإسلامي كالإمام الطبري والحافظ الذهبي والحافظ ابن كثير وغيرهم، من الذين ساهموا في النهاية – وهذا لازم قول الكاتب للأسف – في تكوين أكبر الأساطير التي بنيت عليها ما تسمى بدولة إسرائيل الغاصبة!

وقد افترض الكاتب جملة فرضيات منها أن العرب هم الذين هموا بحرق الخليل عليه السلام بالنار: فهل عرف الحرق تاريخيًّا في جزيرة العرب، وأن إسحق عليه السلام مكي ولد بمكة، وكذا هاجر كانت في مكة، وأن نبي الله لوطًا عليه السلام كان من مكة، وأن الله تبارك وتعالى بعث الملائكة المرسلين لإنزال العذاب على قوم لوط عند موقع مسجد الخيف، بالقرب من الجمرات الثلاث، أو في نمرة حيث مضارب خيامه مكان مسجد نمرة! وأن المؤتفكات في الجزيرة، وأنه عليه السلام زّم إبراهيم البئر وتملكه، وأن ذبح إسماعيل عليه السلام كان عند مذبح منى، وأن من العرب سريانًا كانوا يتحدثون السريانية!

والأغرب: إبراهيم عليه السلام مغاربي ولا علاقة له بآسيا وجزيرة العرب!

وتحت عنوان: رسول الله إبراهيم جزائري ومغربي وتونسي وليبي ولا علاقة له بالعراق ولا بفلسطين ولم (يراهما) إطلاقًا كتب محمد علام الدين العسكري/أورشليم/ تونس كلامًا طويلًا وغريبًا، أختصر أهمه فيما يلي:

بعد أن تحدث عن الاستعمار (العربي) لبلاده والمستمر حتى الآن (!) قال الكاتب:

ولقد سُلب تاريخ شمال أفريقيا الديني والتاريخي والعلمي من طرف المحتلين جميعًا، بحيث أخذت كل أمة منهم شيئًا حتى لا يبقى لنا تاريخ، واليوم ننظر في واحدة من أعظم الافتراءات التي قام بتدليسها المشرق والغرب.

أصل الكلمة الشام: سام نسبة لابن نوح عليه وآله الصلاة والسلام، والذي سكن بالمغرب كما أكدت التوراة (سفر التكوين **11**)! (هكذا)! وكان أبناء سام في المغرب وفي الجنوب التونسي والجزائري والليبي، وكانت عاصمتهم دمشق (غدامس) حاليًّا (هكذا)! وكانت مدينة حما هي الحامة. واستغلوا امتداد الدولة الفينيقية بين المشرق والمغرب فأزاحوا كلمة الشام من تاريخ المغرب، ونسبوها للمشرق بينما كان المغاربة هم من احتلوا المشرق (هكذا)!

زجوراة: هي مقر معبد النمرود، والإله نانار، وكان في أور على مرتفعة عالية بناء يشبه الهرم. وهو اليوم إقليم بالمغرب الأقصى، وكان يمتد عبر التراب الجزائري على الحدود المغربية، فإقليم زاكورة إقليم مغربي، قرب إقليم ورزازات بالجنوب المغربي المعروف بالنخيل!

وهران هي مدينة حران: كان اسم المدينة على اسم هاران ابن تارح أخي إبراهيم عليه وآله الصلاة والسلام. كما أن الهاء تصير حاء، فتكون التسمية هران/ مدينة وهران بالجزائر! (هكذا)!

دمشق هي غدامس: ولما كان إبراهيم في الخامسة والسبعين من عمره رحل هو وزوجته ولوط من حاران إلى أرض كنعان بناء على أمر الرب (تك12: 1) ويحتمل أنهم ذهبوا عن طريق دمشق لأن أليعازر الدمشقي الموكل على بيتِهكان من هناك (تك15:2). ودمشق Damasc هنا هي مدينة غدامس الليبية، وقد أبدل اسمها العرب زمن الاحتلال الأموي لبلادنا لتكون غدامس Ghadames. (هكذا)!

وقد ترك أسماء مدن لأبنائه مثل حزوا (ورد اسمها في سفر التكوين 22:

20 وَحَدَثَ بَعْدَ هذِهِ الأُمُورِ أَنَّ إبراهيم أُخْبِرَ وَقِيلَ لَهُ: «هُوَذَا مِلْكَةُ قَدْ وَلَدَتْ هِيَ أَيْضًا بَنِينَ لِنَاحُورَ أَخِيكَ:

21 عُوصًا بِكْرَهُ، وَبُوزًا أَخَاهُ، وَقَمُوئِيلَ أَبَا أَرَامَ!

22 وَكَاسَدَ وَحَزْوًا وَفِلْدَاشَ وَيِدْلاَفَ وَبَتُوئِيلَ».

وحزوة إحدى مدن الجمهورية التونسية، تقع في ولاية توزر قرب الحدود مع الجزائر. تقع حوالي 30 ميلا إلى الغرب من مدينة توزر!

تنقلات إبراهيم من تونس إلى مصر، ومن مصر إلى الكعبة: أقام إبراهيم عليه السلام أولًا في شكيم (الهشيم القصرين) (تك 12:6) ثم ذهب إلى بيت إيل (سفيطلة القصرين) (تك12: 8) وارتحل منها إلى أرض الجنوب التونسي (تك 12:9) ولما أمره الله أن يبني الكعبة ارتحل من هناك إلى مصر (تك12:10) وهناك، خوفًا على حياته، ذكر لفرعون أن ساراي Sarai أخته دون أن يذكر أنها زوجته (تك12: 11–20) ثم من هناك عاد إلى أرض الجنوب في تونس (تك13:1) وذهب من هناك إلى بيت إيل (تك**13**: **3**) ثم افترقا هو ولوط بسبب كثرة أملاكهما. فاختار لوط Lot أن يذهب إلى أرض بحر سوف/ شط الجريد تونس (تك13:5–12) أما إبراهيم Abraham فسكن في أرض القصرين! ونقل خيامه وأتى وأقام عند بلوطات ممرا وبقي هناك سنوات عديدة (تك13: 12–13–18).ودفن في المكفيلة (المغيلة) شمال شرقي سفيطلة القصرين/ تونس (هكذا)!

فكيف كان بالعراق وسوريا؟ ولماذا دخل مصر وهو يخاف على حياته لولا أن الله أمره ببناء الكعبة. وفي التوراة يقول: انحدر إلى مصر، فكيف ينحدر من فلسطين إلى مصر والحال أن فلسطين غرب مصر وكان الأجدر أن يقول اتجه غربًا إلى مصر! ولا يكون الانحدار إلا من الشمال إلى الجنوب وعبر البحر من خليج قابس إلى الإسكندرية، ولو كان عبر البر ما كان ليأخذ اتجاه الملك الفرعون، ولكان سلك جنوبًا بعيدًا عن العاصمة! (هكذا)!

1) سفر التكوين 12–10: وَحَدَثَ جُوعٌ فِي الأَرْضِ، فَانْحَدَرَ أَبْرَامُ إِلَى مِصْرَ لِيَتَغَرَّبَ هُنَاكَ، لأَنَّ الْجُوعَ فِي الأَرْضِ كَانَ شَدِيدًا.

2) سفر العدد 20–15: إِنَّ آبَاءَنَا انْحَدَرُوا إِلَى مِصْرَ، وَأَقَمْنَا فِي مِصْرَ أَيَّامًا كَثِيرَةً، وأساء المصريون إِلَيْنَا وَإِلَى آبَائِنَا!

3) سفر التثنية **26–5**: ثُمَّ تُصَرِّحُ وَتَقُولُ أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِكَ: أَرَامِيًّا تَائِهًا كَانَ أبي، فانحدر إلى مصر، وَتَغَرَّبَ هُنَاكَ فِي نَفَرٍ قَلِيل، فَصَارَ هُنَاكَ أُمَّةً كَبِيرَةً وَعَظِيمَةً وَكَثِيرَةً.

بئر الحفي/ بئر لحفي: فوجدها ملاك الرب على عين الماء في البرية.....فدعت اسم الرب الذي تكلم معها أنت إيل رئي" لأنها قالت: أههنا أيضا رأيت بعد رؤية؟ لذلك دعيت البئربئر لحفي رئي" (تك 16: 13-14) والمعنى بئر الحي الذي يراني. أي أن الله كان بي حفيًّا. (هكذا)!

1) سفر التكوين 10: 4

بَنُو يَاوَانَ: أَلِيشَةُ وَتَرْشِيشُ وَكِتِّيمُ وَدُودَانِيمُ!

كتيم: قبيلة كتامة الجزائرية التونسية كما في سفر العدد 24: 24: وَتَأْتِي سُفُنٌ مِنْ نَاحِيَةِ كِتِّيمَ وَتُخْضِعُ أَشُّورَ، وَتُخْضِعُ عَابِرَ، فَهُوَ أَيْضًا إِلَى الْهَلاَكِ! وترشيش. الفركسيس. الفرشيش. تبسة والقصرين!

الجزائر: سفر إشعياء 42: (هكذا)!

....4 لاَ يَكِلُّ وَلاَ يَنْكَسِرُ حَتَّى يَضَعَ الْحَقَّ فِي الأَرْضِ، وَتَنْتَظِرُ الْجَزَائِرُ شَرِيعَتَهُ».

10 غَنُّوا لِلرَّبِّ أُغْنِيَةً جَدِيدَةً، تَسْبِيحَهُ مِنْ أَقْصَى الأَرْضِ. أَيُّهَا الْمُنْحَدِرُونَ فِي الْبَحْرِ وَمِلْؤُهُ وَالْجَزَائِرُ وَسُكَّانُهَا!

11 لِتَرْفَعِ الْبَرِّيَّةُ وَمُدُنُهَا صَوْتَهَا، الدِّيَارُ الَّتِي سَكَنَهَا قِيدَارُ. لِتَتَرَنَّمْ سُكَّانُ سَالِعَ. مِنْ رُؤُوسِ الْجِبَالِ لِيَهْتِفُوا.

12 لِيُعْطُوا الرَّبَّ مَجْدًا وَيُخْبِرُوا بِتَسْبِيحِهِ فِي الْجَزَائِرِ.

ولا تعليق!

والأشد غرابة: إبراهيم عليه السلام يبكي على الحسين رضي الله عنه

ومن غرائب ما قرأت ما يزعمه الشيعة من أنالملائكة والأنبياء والمرسلين يبكون على الحسين، فتحت عنوان: حضرة نبي الله إبراهيم الخليل يمر في أرض كربلاء كتب محمد السمناوي:

.....كانت لغة سيدنا إبراهيم عليه السلام الآرامية، وهي لغة قبيلته، نسبة إلى ارم بن سام عليه السلام، وبهذا يكون النبي إبراهيم عليه السلام من مواليد العراق، في مدينة النهرين كربلاء، محل ركاب الأنبياء، ويوجد في العراق مقامات كثيرة لنبي الله إبراهيم عليه السلام في أماكن كثيرة في العراق، وهذا دلالة على تنقله فيها ولنشر ثقافة التوحيد، فمن هذه المقامات في مسجد السهلة، ومسجد الكوفة، وفي طريق بغداد، ويوجد قرية من قرى بابل تدعى برس أو بروسيبا، كما ذكر هذا الاسم المؤرخون، ويعتبر من الأسماء القديمة لها، وهو مسقط رأس أبي الموحدين نبي الله إبراهيم عليه السلام، وعلى مقربه منه يوجد مقام اخر، وبجواره تقع ارض المحرقة،....

روي أن إبراهيم عليه السلام مر في أرض كربلا وهو راكب فرسًا فعثرت به وسقط إبراهيم وشج رأسه وسال دمه، فأخذ في الاستغفار وقال: إلهي أي شئ حدث مني؟ فنزل إليه جبرئيل وقال: يا إبراهيم ما حدث منك ذنب، ولكن هنا يقتل سبط خاتم الأنبياء، وابن خاتم الأوصياء، فسال دمك موافقة لدمه.

قال: يا جبرئيل ومن يكون قاتله؟ قال: لعين أهل السماوات والأرضين والقلم جرى على اللوح بلعنه بغير إذن ربه، فأوحى الله تعالى إلى القلم إنك استحققت الثناء بهذا اللع.

فرفع إبراهيم عليه السلام يديه ولعن يزيد لعنًا كثيرًا، وأمن فرسه بلسان فصيح، فقال إبراهيم لفرسه: أي شيء عرفت حتى تؤمن على دعائي؟ فقال: يا إبراهيم أنا أفتخر بركوبك علي فلما عثرت وسقطت عن ظهري عظمت خجلتي، وكان سبب ذلك من يزيد لعنه الله تعالى!

لعنة الله على الكذبة الأفاكين سود الوجوه يوم الدين!

حكاية المقام

لا أشك أن هناك بعض القضايا والأحكام المتعلقة ببنية الكعبة ذاتها، التي تحتاج إبرازًا ومعالجة عاقلة وعلمية، بحكم الاعتقاد والفقه، وبحكم التاريخ والواقع والمستقبل، كالحجر الأسود موجود في الركن الجنوبي الشرقي من الكعبة، وكالميزاب المثبت على سطح الكعبة في الجهة الشمالية، والشاذروان الذي ترك من حجر أساس البيت الحرام خارجًا، وحجر إسماعيل الذي يقع شمالي الكعبة المشرفة.

لكن أهم ما يشغلنا هنا – بحكم موضوع الدراسة وارتباطها بسيدنا الخليل عليه السلام – هو مقام إبراهيم عليه السلام، ذلك الموقع الذي كان ملتصقًا بالكعبة، ثم أخر، وتثور من سنين مطالبات بتأخيره عن محله مرة أخرى في مكان قصي عن الكعبة، تخفيفًا من الزحاف، وتوسعة على الناس، وإخراجًا لبعضهم من الإثم، وإحياء لسنة الهرولة في الطواف؛ وهي سنة شبه معطلة بل ميتة!

لا شك أن مقام إبراهيم مشعر للصلاة، كما أمرنا ربنا تبارك وتعالى في سورة البقرة: **125** (وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا، وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى، وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن: طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ، وَالْعَاكِفِينَ، وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ)!

ولكن ما هو المقام المقصود؟ وأين هو؟

وهل الحجر المحفور الذي يسمى بالمقام الموجود حاليًّا صحيح أم اختراع وكذب؟

اختلف الناس في تحقيق معنى المقام: ما المراد به؟

قال الإمام ابن كثير: حدثنا.... عن ابن عباس رضي الله عنهما: (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) قال: مقام إبراهيم: الحرم كله. وروي عن مجاهد وعطاء مثل ذلك.

وقال أيضًا: حدثنا...عن ابن جريج، قال: سألت عطاء عن: (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) فقال: سمعت ابن عباس قال: أما مقام إبراهيم الذي ذكر هاهنا، فمقام إبراهيم هذا الذي في

المسجد، ثم قال: (ومقام إبراهيم) بعد كثير، مقام إبراهيم الحج كله! ثم فسره لي عطاء فقال: التعريف، وصلاتان بعرفة، والمشعر، ومنى، ورمي الجمار، والطواف بين الصفا والمروة! فقلت: أفسره ابن عبا؟ قال: لا ولكن قال: مقام إبراهيم: الحج كله. قلت: أسمعت ذلك؟ لهذا أجمع. قال: نعم، سمعته منه!

وقال سفيان الثوري.... عن سعيد بن جبير: الحَجر مقام إبراهيم نبي الله، قد جعله الله رحمة، فكان يقوم عليه ويناوله إسماعيل الحجارة. ولو غسل رأسه كما يقولون لاختلف رجلاه!

وقال ابن مردويه: حدثنا... عن جابر، قال: لما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة عند مقام إبراهيم، قال له عمر: يا رسول الله، هذا مقام إبراهيم الذي قال الله: (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى)؟ قال: نعم. قال الوليد: قلت لمالك: هكذا حدثك (واتخذوا) قال: نعم.. وقد روى النسائي من حديث الوليد بن مسلم نحوه!

وقال الإمام ابن العربي في أحكام القرآن:....من الناس من حمله على عمومه في مناسك الحج؛ والتقدير: واتخذوا من مناسك إبراهيم في الحج عبادة وقدوة!

وقال آخرون: هو الموضع الذي دعا إبراهيم عليه السلام فيه ربه تعالى حين استودع ذريته.

والأكثر حمله على الخصوص في بعضها، واختلفوا فيه: فقال قوم: هو الحجر الذي جعل إبراهيم عليه رجله، حين غسلت زوج إسماعيل عليهما السلام رأسه.

فمن حمله على العموم قال: معناه كما قدمنا مصلى: مدعى أي موضعًا للدعاء.ومن خصصه قال: معناه موضعًا للصلاة المعهودة ؛ وهو الصحيح!

والأرجح أنه الحجر المعروف، قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى: روى البخاري بسنده عن عمرو بن دينار، قال: سمعت ابن عمر يقول: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فطاف بالبيت سبعًا، وصلى خلف المقام ركعتين! فهذا كله مما يدل على أن المراد بالمقام إنما هو الحجر الذي كان إبراهيم عليه السلام، يقوم عليه لبناء الكعبة، لما ارتفع الجدار أتاه إسماعيل، عليه السلام،

به ليقوم فوقه، ويناوله الحجارة فيضعها بيده لرفع الجدار، كلما كمل ناحية انتقل إلى الناحية الأخرى، يطوف حول الكعبة، وهو واقف عليه، كلما فرغ من جدار نقله إلى الناحية التي تليها هكذا، حتى تم جدارات الكعبة!

وقال في التحرير والتنوير: والمصلى موضع الصلاة، وصلاتهم يومئذ الدعاء والخضوع إلى الله تعالى، وكان إبراهيم قد وضع المسجد الحرام حول الكعبة، ووضع الحجر الذي كان يرتفع عليه للبناء حولها، فكان المصلى على الحجر المسمى بالمقام، فذلك يكون المصلى متخذًا من مقام إبراهيم على كلا الإطلاقين.

وهو الحجر الذي كان ملصقا بجدار الكعبة، وأبعده عنها عمرًا توسعة على الطائفين!

قال صاحب المنار رحمه الله تعالى: ويقول المحققون من الفقهاء: حيثما صليت من المسجد فثم مقام إبراهيم عليه السلام، والناس يتحرون صلاة ركعتي الطواف خلف البناء المرتفع الذي وضع فيه الحجر الذي فيه أثر قدم إبراهيم صلى الله عليه وسلم إن أمكن، والمروي أنه كان ملاصقا للكعبة فأخره إلى ذلك المكان عمر رضي الله عنه كما رواه عبد الرزاق بسند قوي عندهم، وروى ابن مردويه عن مجاهد بسند ضعيف أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي أخره!

إذن فما هو هذا الحجر؟ هل هو ذلك الشيء الموجود في المقصورة الكريستالية المذهبية قريبً من الكعبة المشرفة؟ أم هو مجرد رمز وليس هو الحجر الأصلي؟!

أقول جازمًا إن الموجود الآن ليس هو الحجر الذي قام عليه الخليل عليه السلام؛ إذ يستبعد عقلًا أن يكون هو، وأن نثبت صحة ذلك.

أو ربما كان هو هو، لكن أعيد حفره على هيئة القدم، وأبعدت أيدي الناس عنه، حتى لا يمسحوه، وحتى لا يستلموه بدل الحجر الأسود.

قال الإمام البغوي رحمه الله تعالى في تفسيره: قيل: كان أثر أصابع رجليه بينا فيه فاندرس من كثرة المسح بالأيدي!

وقال الإمام ابن العربي رحمه الله تعالى في أحكام القرآن: وقد رأيت بمكة صندوقًا فيه حجر، عليه أثر قدم قد انمحى واخلولق، فقالوا كلهم: هذا أثر قدم إبراهيم عليه السلام، وهو موضوع بإزاء الكعبة.

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى – وهو قول الإمام القرطبي رحمه الله تعالى والطاهر بن عاشور أيضًا –: وكانت آثار قدميه ظاهرة فيه، ولم يزل هذا معروفًا تعرفه العرب في جاهليتها؛ ولهذا قال أبو طالب في قصيدته المعروفة اللامية:

وموطئ إبراهيم في الصخر رطبة على قدميه.. حافيًا غير ناعل

وقد أدرك المسلمون ذلك فيه أيضًا. وقال عبد الله بن وهب: أخبرني... أن أنس بن مالك قال: رأيت المقام فيه أثر أصابعه عليه السلام، وإخمص قدميه، غير أنه أذهبه مسح الناس بأيديهم!

والآن نطرح سؤالًا عن إمكان نقل المقام من مكانه إلى موضع آخر في المسجد؛ توسعة على الطائفين، وقد شهدت بعين عشرات المرات كيف يفعل الناس الذي يصرون أن يصلوا ركعتين خلفه، فيخنقون المطاف، ويعنتون الحجاج والعمار، ويؤثمون أنفسهم بأذى المؤمنين والمؤمنات!

وأعتقد أنهم تمت تعديلات كثيرة في المسجد الحرام من قبل، غيرت هيئات الأشياء، كما فُعل في زمزم الذي غير عدة مرات، ثم غطي تمامًا فلم يعد الناس يرون إلا ماءه، كما تم التغيير والتعديل في المسعى، فلماذا لا يعدل موقع المقام، خصوصًا وأنني كنت قد أعدت دراسة أو مقترحا ضافيًا قبل نحو عشر سنين – نشرته في الراية القطرية، وفي المنار الجديد المصرية – حول ظروف الحج بعد 30 سنة، أتخيل فيه ما ينبغي أن يكون، وعرضته على عدد من العلماء فرحبوا بما فيه، وأيدوه دون تردد، وكان منه: إمكان تأخير المقام في آخر المطاف.

ورغم وجود بعض الاعتراضات على ذلك؛ على أساس أن المقام ليس عائقًا أمام الطائفين وليس سببًا للزحام الحاصل في الطواف، وإنما سلوك الناس هو السبب، بل إنه يؤدي فائدة عملية في الزحام حيث يقوم بكسر موجة الزحام المتدفقة في الطواف، وتخفيف ضغط الحركة مثلما تفعل الصخرة المعترضة طريق السيل الجارف، حين تخفف من قوته – كما قال المهندس سامي عنقاوي – ورجع أيضًا الجانب الآثاري وأهميته، كما أن أستاذ التاريخ بجامعة أم القرى وأحد المتخصصين في تاريخ مكة وآثارها الدكتور فواز الدهاس رجح عدم استحسان نقل أو تغيير مقام إبراهيم عليه السلام، مشددًا على أن هذا المكان الذي عليه المقام حاليًّا هو المكان الذي كان محددًا في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وفي عهد الخلفاء الراشدين رضوان عليهم، فبقي على ذلك 14 قرنًا..(جريدة المدينة http://www.al-madina.com/node/502382?risala)

رغم ما مر، ورغم ما ثار من جدل حول الأمر، فقد بدأت الأصوات تعلو مطالبة بذلك فعلًا، بل نشرت جريدة الشعب المصرية أن تقارير أشارت أن هناك قرارًا وشيكًا سيصدر عن العاهل السعودي، يقضي بنقلمقام إبراهيم" عليه السلام، من جوار الكعبة المشرفة في مكة المكرمة إلى مكان آخر، بما يمنح منطقة الطواف في الحرم مساحة أوسع.

وأوضحت تلك التقارير أن قرار النقل استنفد، إلى حد كبير، مباحثه الفقهية والفنية اللازمة، وشارك بها كبار العلماء والباحثين السعوديين.

وأكد الشيخ محمد بن حسن آل الشيخ، عضو هيئة كبار العلماء في السعودية، على أن مسألة نقل مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام هيمن خصوصيات ولي الأمر" في إشارة إلى عاهل البلاد الملك عبد الله بن عبد العزيز.

ولفت آل الشيخ في تصريحات نقلتها عنه صحيفة (المدينة) السعودية الأحد، إلى أن مسألة نقل المقامقد سبقت دراستها من قبل هيئة كبار العلماء في الدورة السادسة التي عقدت عام

1395هجري (1975 ميلادي)، وقررت الهيئة بالإجماع جواز نقل المقام، نظرًا للضيق والازدحام في المطاف، ما لم ير وليّ الأمر تأجيل ذلك للمصلحة".

كما قدم أستاذ اللغة بجامعة أم القرى، رئيس مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية – الدكتور عبد العزيز الحربي اقتراحًا بتغيير مكان مقام إبراهيم من مكانه الحالي في الحرم المكي، وإعادته إلى نهاية صحن المطاف.

وعلل ذلك بأن وجود المقام في وسط صحن المطاف يسبب كثيرًا من الزحام للطائفين الذين قدمهم الله سبحانه وتعالى في هذا المكان على القائمين والعاكفين والركع السجود.

موضحا – بحسب صحيفة مكة – أنه لا يوجد أي نص شرعي لا يجيز نقل هذا المقام، كما أن مكانه في الأساس كان بجوار الكعبة المشرفة، ما يعني أن هذا المكان ليس مكانه الصحيح.

وكشفت الصحيفةأن هذا الاقتراح لقي وسط المكيين من يؤيده بأنه لا يوجد نص لا يجيز نقل المقام، وكذلك من يعارضه ممن هم يريدون الحفاظ على الهوية المكية وإرثها الديني والتاريخي، إضافة إلى رأي محايد يقول بجوازه ويشترط الضرورة لذلك" (البيان الرقمية).

وقد كتب الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي فتوي ضافية بهذا الخصوص، جاء فيها:

.....وكان الحجر أول أمره ملتصقا بجدار الكعبة بحكم قيام إبراهيم عليه لبنائها، وظل كذلك أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأيام أبي بكر رضي الله عنه، وطائفة من أيام عمر، فرأى عمر رضي الله عنه أن الحجر يعوق الطواف بعض الشيء، وأنه لا يمكن الناس من جدار البيت، وأن الطائفتين مع ذلك يشوشون أثناء طوافهم على الذين يصلون عنده ركعتي الطواف، فأمر عمر رضي الله عنه بنقله من مكانه إلى جهة الشرق حيث هو الآن. (أي قبل نقله منذ سنوات).

واليوم قد اتسع المطاف حول الكعبة، ودخل الحجر المذكور أومقام إبراهيم" في المطاف مرة أخرى، وسيشوش الطائفون – بطبيعة الحال – أثناء طوافهم على من يصلون عنده ركعتي الطواف، وكذلك سيعوق المقام طواف الطائفين بعض الشيء، وحينئذٍ نجد أنفسنا مضطرين إلى التفكير فيما فكر فيه عمر رضي الله عنه: هل ننقل المقام للضرورة كما نقله رضي الله عنه للضرورة؟

وهنا يذهب الورع بفريق منا فيقول: أين نحن من عمر؟ إن عمر فعل ما فعل، وصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله يرون فعله، ويقرونه عليه، ولم يحفظ أن أحدًا منهم عارضه، فكان ذلك إجماعًا تلقته منهم الأمة بالرعاية جيلًا بعد جيل إلى اليوم..

فلا يجوز لنا أن نغير وضعًا رضيه الصحابة رضي الله عنهم لمقام إبراهيم وظل عليه – على رغم ما تعرض له البيت من أحداث جسام – فلم يمسسه أحد بتغيير إلى الآن...

وهو قول جميل، وغيرة محمودة، ولكنا نحب أن نقول: إن عمر رضي الله عنه، نقل المقام لعلة ظاهرة، وضرورة واضحة، ووافقه الصحابة على ما رأى. والعلة اليوم هي العلة بالأمس، فهل إذا كان عمر اليوم حيًّا، وعرضت له علة اليوم أكان يتحرج أن ينقل المقام مرة أخرى كما نقله بالأمس؟

أليس من حقنا بداهة أن نأتسي بالصحابة، فنفعل فيما يعرض لنا من ضرورات مثل فعلهم عندما عرضت لهم نفس هذه الضرورات؟

إن المطاف ضيق بلا شك، وكل من سعد بالحج يذكر ما عانى من الزحام والضيق، ويذكر حرج النساء في ضغطة الزحام، وما يتعرض له من الدفع والرد!

ويذكر أن الهرولة في الطواف، وهي سنة سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم تكاد تكون معطلة لشدة الزحام! ولا شك أن ديننا السمح يرحب بتوسيع المطاف تيسيرًا للطائفين، ولرفع الحرج عن المحرجين، وتحقيقًا لما ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه من الهرولة.

ولكن هذا الفعل الجميل، سيعترضه المقام إذا بقي مكانه، وإذا بقي المقام مكانه ألفينا أنفسنا بإزاء مفسدة متوقعة لا محالة، فإن الله سبحانه وتعالى يقول: (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) والطواف في المطاف الجديد سيعطل أمر الله بالصلاة، أو سيجعل صلاة المصلين – على الأقل – خالية من روح الخشوع والطمأنينة، وكلا الأمرين مفسدة لا يقرها الشرع إلا دفعًا لمفسدة أشد وأكبر. ولا يستطيع أحد أن يدلنا على وجه الفساد الذي يلحق المناسك بنقل المقام إلى موضع آخر.

ويجب أن نذكر أمرين لهما شأنهما: الأول: أن عمر رضي الله عنه نقل الحجر وهو ملتصق بجدار الكعبة، وهو وضع له هيبته، فأبعده عنها، وليس في فعلنا اليوم شيء من ذلك.

والأمر الثاني: أن عمر رضي الله عنه إذ أقدم على نقله، إنما نقله من المكان الذي وضعه فيه إبراهيم بيده، وقام عليه فيه بالبناء، فغير وضعًا تحفه ذكريات مقدسة، ووضع مقام إبراهيم في غير مقام إبراهيم، وليس في فعلنا اليوم شيء من ذلك.

ذلك كله إلى أن الموضع القديم للحجر كان معروفا للناس بأنهمقام إبراهيم" من قبل أن ينزل قوله تعالى: (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) فلما نزل هذا القول الكريم لم يكن له من مفهوم في أذهان الناس إلا مكانه الملتصق بالكعبة. روى جابر رضي الله عنه وغيره، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما طاف ومر بالحجر، قال له عمر رضي الله عنه: هذا مقام أبينا إبراهيم؟ قال: نعم، قال عمر: أفلا نتخذه مصلى؟ فلم يلبث إلا قليلًا، حتى نزل قوله تعالى: (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى).

ومن هذا يعلم أن الآية الكريمة حين سمت هذا المكانمقام إبراهيم" لم تسمه إلا وهو معهود في أذهان الناس بشارات وحدود معينة، وحين أمرت بالصلاة، أمرت بها في المكان المعهود لهم، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه، وصلى الصحابة رضي الله عنهم والناس من بعدهم بصلاته عليه السلام فيه! ومعنى هذا كله أن عمر رضي الله عنه إذ نقل الحجر إنما نقله من المكان الذي صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونزلت الآية الكريمة به! ولا شك أننا إذ ننقله اليوم، لا نغير مدلولًا لابسه الوحي حين نزوله، ولا نصرف الناس عن مكان صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكيف لا يباح لنا ما أبيح لعمر رضي الله عنه؟

وهناك أمر أخير يجب أن نذكره في هذا المقام، ذلك أن العرب في الجاهلية حين أعادوا بناء الكعبة، قصرت بهم النفقة، فلم يبنوها على مساحتها وأسسها الأولى، ثم رفعوا بابها بعد أن كان ملتصقًا بالأرض إلى العلو الذي هو عليه اليوم، وظل الجزء الذي تركوه من مساحتها منكشفا، وهو الذي يسمى اليوم:الحجر" بكسر الحاء.

روى مسلم عن عائشة قالت: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجدر أمن البيت هو؟ قال:نعم". قلت: فلم لم يدخلوه في البيت؟

قال:إن قومك قصرت بهم النفقة". قلت: فما شأن بابه مرتفعا؟

قال:فعل ذلك قومك ليدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا".

وكان عليه السلام يريد أن يهدم الكعبة، ويدخل فيها الجدر أو الحجر، ويعيد بناءها على أسسها الأولى، أسس إبراهيم عليه السلام، التي أخبر بها القرآن الكريم، لولا أنه خشي أن تتغير قلوب بعض الناس، لقرب عهدهم بالجاهلية، فينكروا ما صنع، وذلك قوله عليه السلام لعائشة:يا عائشة، لولا حداثة عهد قومك بالكفر، لنقضت الكعبة، ولجعلتها على أساس إبراهيم" وفي رواية

أخرى:لولا أن قومك حديث عهدهم في الجاهلية فأخاف أن تنكر قلوبهم لنظرت أن أدخل الجدر في البيت، وأن ألزق بابه الأرض".

فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى الجاهلية قد غيرت، وبدلت في صميم أوضاع الكعبة – وهي ما هي في القداسة والحرمة – فلا يرى في هذا التغيير إلا أنه تغيير لأوضاع حسية، لا يمس عقيدة من العقائد، ولا يغض من قداسة المعنى الرمزي الذي يتحقق به للكعبة أنها بيت الله"... فهي بيت الله" سواء كان بابها ملتصقًا بالأرض أو مرتفعا عنها، وهي بيت الله" سواء شملت أركانها المساحة الأولى أو ضمت بعضها فقط! وسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت الله" على رغم ما بها من تغير! ونزل الوحي يقرر أنها بيت الله" على رغم ذلك أيضًا، فإن ما بقي من أوضاعها كافٍ لأن يتمثل به المعنى الرمزي الدال على نسبتها إلى الله سبحانه.

وإذا، فقيمة الكعبة إنما هي في معناها الرمزي، وقدسية صلتها بالله تعالى! وما فيها من بركة لا يرجع إلى طبيعة حجارتها، ولا معدن بنائها، بل يرجع إلى ما يفاض عليه من جلال المعنى الروحي الذي يصله بالله سبحانه.

لهذا لم ير الرسول عليه السلام أن يبطل حتمًا ما غيرته الجاهلية بالكعبة من حيث إن المساس ببعض الأوضاع لا يتعلق بعقيدة من العقائد، ولا يسلخ عنها الأسرار التي صارت بهابيت الله" فأبقى فعل الجاهلية على ما كان عليه، إبقاء على استقرار قلوب حديثة عهد بالجاهلية.

ونريد أن نقرر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنما بعث لغير ما ألفته قلوب الناس من الوثنية الجاهلية، وعبادتها، ومعتقداتها، وعاداتها في الأنصاب والأزلام ونحوها وكم أبطل عليه السلام من ذلك، دون أن يبالي ما تنكر القلوب من فعله، ولو أنه خشي إنكار القلوب لما تقدم شيئا في رسالته؛ فلو أن لأوضاع الأركان والمباني قدسية ذاتية، أو حرمة متصلة بعقيدة ما لمضى رسول الله إلى ما يريد من إعادة الكعبة على أسس إبراهيم، غير عابئ بما تنكر القلوب، ولكنه عليه السلام لم يفعل، وآثر الرفق بالناس في أمر غير ذي خطر.

ولا شك أن الحجر الذي هو مقام إبراهيم لا يبلغ في حرمته أن يكون مثل الكعبة قداسة ورعاية، فهي بيت الله" وهيأول بيت وضع للناس" وهي الكعبة البيت الحرام" وليس حجر المقام في شيء من ذلك، فإذا لم نجد للرسول عليه السلام عزيمة في الاستمساك بالأوضاع الأولى لبيت الله، فأولى أن يكون هذا شأننا فيما هو أقل من البيت جلالة وقدسية..

ومما يرفع احتمال العزيمة لدى رسول الله صلى الله عليه وسلم، في إعادة البيت على أسسه الأولى، قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة في رواية مسلم:إن قومك استقصروا من بنيان البيت، ولولا حداثة عهدهم بالشرك، أعدت ما تركوا منه، فإن بدا لقومك من بعدي، أن يبنوه فهلمي لأريك ما تركوا... فأراها قريبا من ستة أذرع". فقوله عليه السلام: فإن بدا لقومك من بعدي أن يبنوه" ينفي احتمال العزيمة، ويرد الأمر إلى مجرد الاختيار، أو يجعله على أحسن الوجوه من قبيل فعل الأفضل!

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إلى هذه الأمور على أنها ذات حقائق روحية، لا تتأثر بما يمس الشكل من تغيير لبعض هيئاته.. وبهذا النظر الكريم نظر عمر رضي الله عنه إلى حجر إبراهيم حين نقله من مكانه الأول إلى مكانه الحالي، دون أن يرى في ذلك ما يمس نسبته إلى إبراهيم عليه السلام، فهو مقام إبراهيم إذا كان ملتصقًا بالكعبة، وهو مقام إبراهيم إذا اقتضت الضرورة إبعاده عنها بعض الشيء، وهو هو مقام إبراهيم، إذا نحن نظرنا إلى القيمة الروحية بمثل ما نظر إليها عمر، فنقلناه بحكم الضرورة كما نقله رضي الله عنه بحكم مثل هذه الضرورة، توسعة على الطائفين، وتوفيرًا لدواعي الخشوع والسكينة لمن يصلون عنده... والله سبحانه وتعالى أعلم، وله الحمد والمنة، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

صورة توضح مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام بالحلية الفضية السطحية والجانبية الملبسة به
وذلك أثناء بناء القاعدة الخرسانية المحيطة بالمقام لتركيب الهيكل القديم عليه عام ١٣٨٧هـ الموافق ١٩٦٧م

صورة توضح مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام بعد
تركيب سطح القاعدة الرخامية الجديدة للمقام

صورة توضح القاعدة النحاسية للقبة الكرستالية المغطية لمقام سيدنا إبراهيم عليه السلام
داخل الهيكل ويظهر في الصورة مفتاح الكعبة داخل المخمل الأخضر

صورة توضح جزءاً من الحلية الفضية المحيطة بحجر مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام من الأعلى
ويظهر في الصورة بداية آية سورة الكرسي كما يظهر بعض النقش

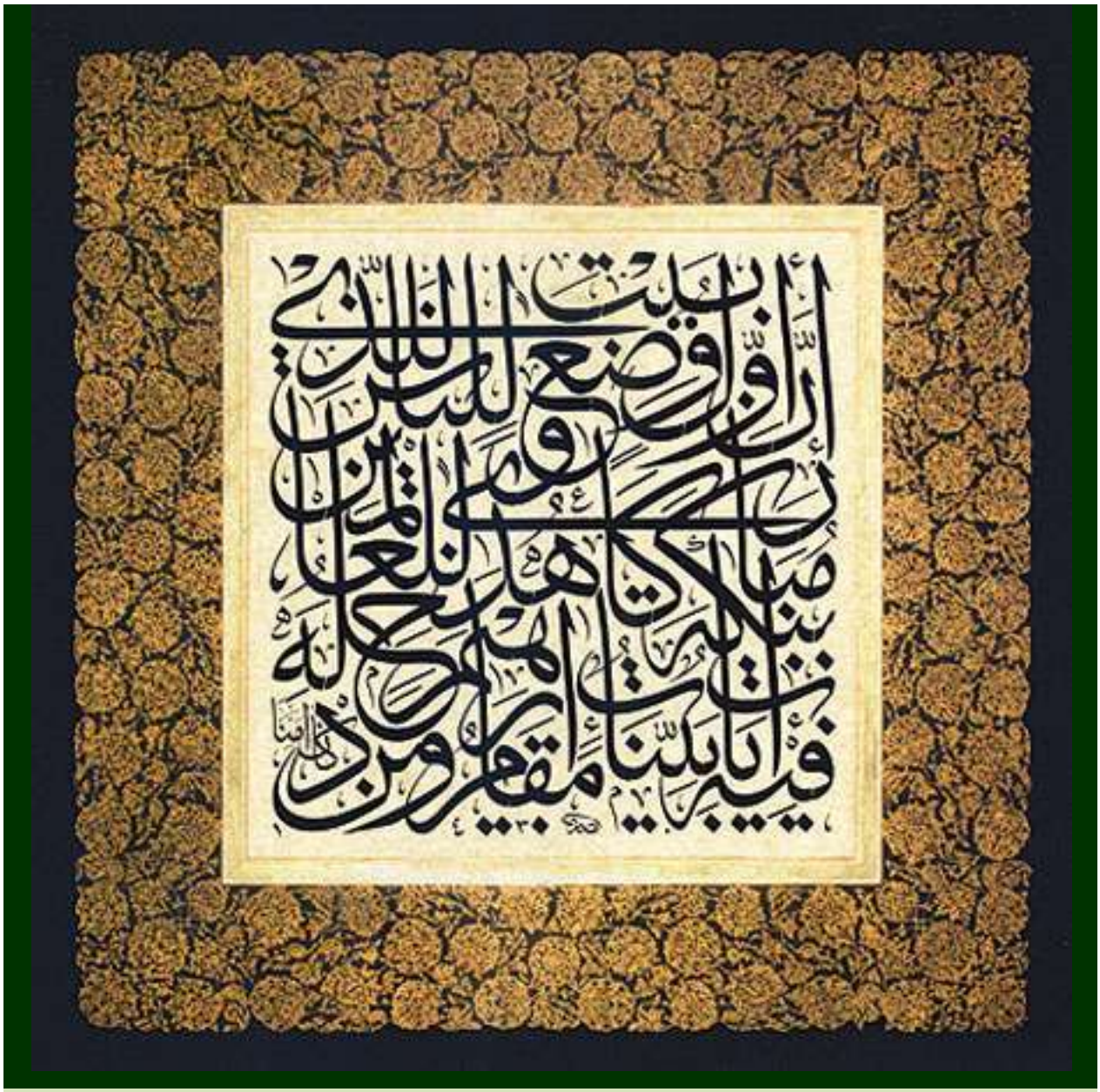

إبراهيم عليه السلام في اليهودية

إبراهيم عليه السلام في اليهودية

لإبراهيم عليه السلام في اليهودية مكانة عظيمة، وهو عندهم أبراهام أو الأب الرفيع، ثم بعد ذلك إبراهيم؛ وردت سيرة حياته في سفر التكوين، كما ذُكرَ في التناخ (الذي يتضمن كتاب التوراة وكتب الأنبياء عند اليهود) ويسمى في التقليد اليهودي أبانا إبراهيم، الذي وعدهُ الله بنسل عظيم سوف تتبارك به كل الأمم.

ويَعتَبره اليهود والمسيحيون أبا بني إسرائيل من ابنه إسحق، الذي قدمه إبراهيم لله ذبيحة حسب الاعتقاد المسيحي واليهودي. والده هو تارح وهو العاشر في شجرة النسب من نوح، ولد لتارح ثلاثة أبناء وهم إبراهيم وناحور وهاران وهو والد النبي لوط!، وتقول التوراة عن أصل إبراهيم إنه آرامي.

ذكرت بعض الروايات أن إبراهيم ولد في حران، ولكن معظم الروايات التاريخية تشير إلى أنه ولد في أور القريبة من بابل في عهد نمرود بن كنعان! وهناك تضارب كبير في الروايات حول تاريخ ولادته وجميعها ينحصر في الفترة بين 2324-1850 ق.م حيث يرى الباحثون أن الحسابات القديمة تصل بين **50-60** سنة! وحسب رواية التوراة فإن إبراهيم ولد سنة 1900 ق.م وهي أقدم المصادر التاريخية في ذلك.

تزوج إبراهيم من ثلاث نساء، هن سارة وهاجر وقطورة، وقد تزوج سارة في أور، وكانت تصغره بعشر سنوات، وأنجبت له إسحق وهي في عمر التاسعة والثمانين، وقد تزوج عليه السلام من هاجر القبطية التي أنجبت منه إسماعيل، ثم من قطورة التي أنجبت له ستة أبناء وهم: زمران، يقشان، مدان، مديان، يشباق، شوحا، كما في اليهودية.

إبراهيم وسارة عليهما السلام:

وورد في سفر التكوين أن إبراهيم عندما تزوج من سارة كان يكبرها بعشر سنوات، في حين كان عمرها 65 سنة عندما هاجر إبراهيم من حران.

مع توجه إبراهيم إلى مصر طلب من سارة أن تذكر للملك (أبيمالك ملك جرار) أنها أخته وليست زوجته وتتعدد الروايات في ذلك، ومنها أن تخوف إبراهيم من أن جمال سارة يلفت نظر المصريين إليها، فيقتلونه ويأخذونها، أو أن الملك لا يتعرض إلا لذوات الأزواج أو ليجبرها على الطلاق،وأطاعت سارة زوجها. فأخذها ملك مصر، ولكن الله منعه من الاقتراب إليها بعد أن تجلى لأبيمالك في حلم في الليل – وفق رواية التوراة – وقال له: إنك ستموت بسبب المرأة التي أخذتها.

إبراهيم وهاجر عليهما السلام:

بعد أن بلغت سارة من العمر 76 عامًا ولم تنجب ذرية لإبراهيم، طلبت منه أن يتزوج جاريته هاجر التي ولدت له إسماعيل وكان عمر إبراهيم 86 عامًا وحدث ذلك قبل مولد إسحق بثلاث عشرة سنة، وقد ولّد ذلك الغيرة في نفس سارة؛ ما دفع إبراهيم لإنزالهما في مكان بعيد وهو وادي مكة!

ولتفصيل أكثر، واعتماد على مصادر يهودية أصلية ألخص ما جاء في جاء في موقع المجلس اليهودي الأمريكي American Jewish Committee:

كان إبراهيم عليه السلام الجد لجميع الأديان التي تعتنق التوحيد. ويشير اليهود إليه باسمأبونا إبراهيم" لأنهم يعتبرونه الأب الروحي للشعب اليهودي.

وُلد إبراهيم عليه السلام عام ١٩٤٨ من بعد خلق الكون، وفقا للتقويم اليهودي (١٨١٣ قبل الميلاد) (التلمود البابلي، عبودة زرة ٩أ). وفي العام ٢٠٠٠ من بعد الخلق (١٧٦١ قبل الميلاد)، أي ست سنوات قبل توفي نوح عليه السلام، بدأ إبراهيم يؤثر على الناس ويأتي بهم إلى عبادة الله سبحانه وتعالى. وقبل ذلك، كان هناك عشرون جيلًا من الفشل، بما في ذلك سقوط آدم بعد أن أكل من شجرة معرفة الشر والخير، وقتل قايين لأخيه هابيل، وإدخال عبادة الأصنام،

وفشل الأجيال العشرة الأولى بفسادهم التي أنهاها الله بالطوفان الذي جاء به عليهم، وفشل الأجيال العشرة بعد نوح ببنائهم برج بابل وما ترتب عليه من تشتت البشر وخلط اللغات. ووضع إبراهيم حدًّا لعصر الخراب الذي سبقه، وكان إبراهيم بمثابة النور الجديد الذي بدأ يتألق على الإنسانية. (ميدراش تكوين الكبير ٢، ٣).

نشأ إبراهيم عليه السلام في بيئة وثنية في أور الكلدانيين، وتوصل إلى إدراك وحدانية الله من تلقاء نفسه في سن مبكرة. فهذا الطفل المعجزة، بعدما تم فطامه، بدأ يتأمل في السؤال التالي، وهو لا يزال صغيرًا: كيف يمكن للأرض أن تواصل في الدوران من دون مرشد؟ لم يكن له أي معلم ولم يكن أحد يكشف له عن أي شيء، بل كان هو مغمورًا في أور الكلدانيين بين المشركين الحمقاء. عَبَدَ أبوه وأمه وجميع الناس الأصنام. وكان إبراهيم عليه السلام يعبد الأصنام معهم (!) وفي نفس الوقت قال له قلبه شيئًا آخر (الحاخام موسى بن ميمون، كتاب التثنية، باب العِلم من شرائع تجريم عبادة الأصنام، ١، ٣).

وباستعمال عقله، استنتج إبراهيم أن العالم يجب أن يكون له خالق. وكان إبراهيم مشابهًا لشخص يسافر من مكان إلى مكان، وشهد قصرًا محترقًا وقال: إن القصر لا يمكن أن يكون من دون قائد! ثم ظهر سيد القصر له وقال له: أنا سيد القصر. فقال إبراهيم: هل يمكن للعالم أن يكون من دون خالق؟ وظهر الله له وقال له: أنا سيد العالم (ميدراش تكوين الكبير ٣٩، ١). هكذا وصل إبراهيم عليه السلام إلى فهم طريق الحق، وأدرك خط العدالة بحكم صحة عقله الخاص. وفهم أنه لم يكن هناك سوى إله واحد (كتاب التثنية، باب العِلم من شرائع تجريم عبادة الأصنام، ١، ٣).

وبعد أن اعترف إبراهيم عليه السلام بوجود الله، بدأ في الطعن في عبادة الأوثان في أور الكلدانيين، وجادل عبدة الأوثان، وقال إن الطريق الذي يسلكونه لن يؤدي إلى الحقيقة، وكسر أصنامهم وحتى أصنام أبيه الذي كان تاجرًا للأصنام، وأوضح لجميع الناس الطريق إلى عبادة الله.

لم يكن إبراهيم عليه السلام فقط رجل دين، بل كان مفكرًا عظيمًا أيضًا. وكان من أكثر الرجال علمًا في العصور القديمة. ونقل المؤرخ اليهودي يوسيفوس، الذي عاش قبل ٢٠٠٠ سنة، عن المؤرخ الكلداني القديم، بروسوس، الذي عاصر الإسكندر الأكبر (٣٥٦ – ٣٢٣ قبل الميلاد)، خبرًا بأنه كان بين الكلدانيين في الجيل العاشر بعد الطوفان، رجل صالح وكبير وماهر في علم الفلك. فعلّم إبراهيم عليه السلام الرياضيات وعِلْم الفلك للمصريين عندما تغرب في مصر. وتجمع حوله عشرات الآلاف من الناس، وأخذوا منه العلم. فيقال في التوراة إن أمم العالم قد أعطته اسم خاص: أمير الله، قائلين: أَنْتَ أَمِيرُ اللهِ فِي وَسَطِنَا (التوراة، سفر التكوين ٢٣، ٦)! واكتشف إبراهيم عليه السلام عن طريق الملاحظة والتفكير الوصايا التي أصدرها الله لاحقًا في التوراة، كما يقال في التوراة: إبراهيم أَطَاعَ قَوْلِي، وَحَفِظَ أَوَامِرِي وَوَصَايَايَ وَفَرَائِضِي وَشَرَائِعِي (سفرالتكوين ٢٦، ٥).

امتياز إبراهيم عليه السلام

كان إبراهيم أعظم من كل من سبقه! كان هناك معلمون آخرون يعلّمون الحكمة، إلا أن تأثيرهم ونفوذهم لم يستمر. وكان إبراهيم أعظم من كلهم، بما فيهم نوح عليه السلام الذي كان الأصلح من بين كل من سبق إبراهيم. فقيل في التوراة إن إبراهيم سار أمام الله بينما سار نوح مع الله.

ووفقا للمفسر راشي، احتاج نوح إلى المساعدة من الله لكي يكون صالحًا، بينما عزز إبراهيم نفسه ليكون صالحًا، ونجح في ذلك بحكم جهوده الخاصة (تفسير راشي لسفر التكوين ٦، ٩). فلم يؤمر نوح بمهمة نشر كلمة الله. بل ناط الله هذه المهمة لإبراهيم. كان نوح قادرًا على حفظ نفسه فقط، وكان يحتاج إلى الدفع والمساعدة من الخارج كي يدخل الفلك ويكون صالحًا، وحقق الكمال عن طريق تلبيته لرغبات الله والتقيد بأوامره، لكن تركيزه كان على وضعه الخاص وبقائه على قيد الحياة!

وعلى نقيض ذلك، كانت الحياة بالنسبة لإبراهيم رحلة لا نهاية لها في سعيه الدائم والمستمر لتحقيق المزيد من النمو، وكان لإبراهيم دائمًا الدوافع الذاتية ليعمل الصواب، وكان استباقيًّا في تولي زمام المبادرة ليقوم بمهمته، ولم يحتج إلى أحداث خارجية تحفزه على خدمة سبحانه وتعالى والقيام بأعمال النعمة والبر. إن المساعدة التي منحها الله لنوح كانت الضمان بأن تكون سكينة الله مع نوح، وتمسك نوح بسكينة الله وحفظه هذا التمسك من ارتكاب الخطيئة. ولم يقبل إبراهيم هذه الحماية، لأن الله أراد أن يجرّب إبراهيم تجربة حقيقية ("جرو الأسد،" تفسير الحاخام يهودا لوي بن بيتسالئيل عن تفسير راشي حول سفر التكوين ٩،٦) ليستحق إبراهيم أن يكون الجد والداعي الأول لعقيدة التوحيد.

وكانت دوافع إبراهيم من باطنه. وكان في جوهره الدافع للقيام بأعمال النعمة للغير وأن يكون المانح، أي من يعطي للغير بالحب غير المشروط. وعلى نقيض ذلك، كان نوح مدير الأزمات أساسًا، وإن كان الله يعهد إليه بدور حاسم لضمان استمرارية البشرية، إلا أن كانت الطريقة الوحيدة التي كان يستطيع نوح من خلالها أن يستجيب لأزمة نهاية البشر" عزل نفسه في الفلك، والركوب فيه حتى خفت العاصفة، ولم يمد يده للآخرين كما فعل إبراهيم.

عقد الله (تعالى) عهده مع إبراهيم وحده. وبفضل جهوده اكتشف إبراهيم غرض الله من برء الكون، واكتشف أيضًا قانون الله لسلوك البشر. وكرس كل جهوده وأفكاره لخدمة الله وتحقيق مشيئة سبحانه وتعالى.

ولتحقيق هذا المستوى من الإدراك، كان على إبراهيم أن يتخلص من النزعات الشخصية والضعف وبهذه الطريقة عرف إبراهيم الحقيقة بالتزامه بمبادئ العقل، وتدريب نفسه دون كلل أو ملل على الضبط المطلق على نفسه.

وطّوّر إبراهيم نظامًا عظيمًا ومتميزًا للتفكير وممارسة البر والنعمة بطريقة ليس لها نظير في التاريخ. ارتقى إبراهيم وزوجته سارة إلى ذروة العظمة الحقيقية، وأصبحا من بين أعلى الأنبياء.

واستحق أفراد آخرون من بيت إبراهيم الحالة النبوية أيضًا، وإن بدرجة أقل، بما فيهم هاجر جارية سارة (سفر التكوين ١٦، ٩).

ولاحظ إبراهيم أن الكون مليء بالحكمة. كما فهم أن الكون له مخطط وغرض وتم تخطيطه بالحكمة. ولاحظ أن العالم كان مصممًا لكي يستفيد منه البشر، وأن البشر هو الغرض من الخلق كله (ميدراش الكبير لسفر الجامعة، ٧). ورأى أن ألله سبحانه وتعالى قد وفّر لكل شخص كل ما يحتاج إليه وكل سبل سعادته، ما يوضح أن الخالق أراد أن يضفي السعادة على البشر. ولاحظ إبراهيم قدرة البشر الفكرية الهائلة ووظف مشاعره وطموحاته، ولاحظ أن هذه القدرات تفوق بكثير ما هو مطلوب من هذا الوجود المحدود الدنيوي (الحاخام موشيه حييم لوزاتو، كتاب طريق الله، الباب أ)، واستنتج أن الخالق بحكمته اللانهاية لها قد منح البشرالعقل الرفيع والعواطف المتطورة ليستعملها لا ليفرّط فيها. وخلص إلى أن وجود البشر يمتد إلى أبعد من هذه الحياة المادية. واستنتج أيضًا أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يظهر وجوده عن طريق أفعاله، وأن يعرف الإنسان بوجوده من خلال أفعاله وصفاته بما فيها الحنان والنعمة والبر. وفهم إبراهيم أنه من أغراض الله أن يقتدي البشر بهذه الصفات. وفهم أيضًا أنه من المناسب للإنسان أن يشكر الله لكل ما أعطاه من النعمة والبركات وان يتحدث عن الله وعن لطفه وحكمته، وقوته، وأن يظهر للّه الامتنان من خلال تكريس الحياة لخدمة الله. كما أدرك إبراهيم أنه من المناسب أن يطلب البشر احتياجاته من الخالق لإظهار خشوعه تجاهه واعترافه بأن الله هو سيد الكون ورب الكل. وكان إبراهيم أول من أشار إلى الله باسمرب". وقال الحاخام يوحانان باسم الحاخام شيمون بن يوحاي: من اليوم الذي خلق الله فيه العالم، لم يكن أحد يسمي اللهرب" حتى جاء إبراهيم، فَقالَ (إبراهيم): «اللهم يا رب كَيْفَ أَعْلَمُ أَنِّي أَرِثُهَا (أي، هذه الأرض)؟» (سفر التكوين ١٥، ٨) (التلمود البابلي، بركات ٧ب).

إبراهيم عليه السلام يواجه المعارضة:

عندما اشتهر إبراهيم وانتشرت أفكاره، حاول الملك نمرود الشرير قتله. وبعدما كسر إبراهيم الأصنام، سأله الملك نمرود، وهو أول من طمح أن يكون ملك متسلطًا على الناس (تفسير الحاخام داود القمحي الراداق" عن سفر التكوين ١٠، ٨):

كيف تتجرأ أن تدمر ما أُجِلُهُ؟ وقال إبراهيم لنمرود: غدا، أطلُبْ من الشمس أن تشرق في الغرب وأن تغرب في الشرق، وإذا حدث ذلك فأنا سأشهد بأنك رب العالم. وقال نمرود: أعبد النار! وقال إبراهيم: ثم سأعبد الماء، الذي يُطفْئ النار؟! وقال نمرود: أعبد الماء! وقال إبراهيم له: ثم سأعبد الغيوم التي تحمل الماء؟! وقال نمرود: أعبد الغيوم! وقال إبراهيم: ثم أعبد الريح التي تشتت الغيوم؟! وقال نمرود له: أعبد الريح! وقال إبراهيم له: ثم علينا أن نعبد الإنسان الذي يصمد في مواجهة الريح؟! وقال نمرود له: كلماتك ككومة تتراكم، أما أنا فسأسجد للنار فقط، وسأرميك فيها، ولينجيك الذي تسجد له! (ميدراش تكوين الكبير ٣٨، ٣٣-٣٥).

وألقاه في الفرن، ووقف الملاك جبرائيل أمام الله، وقال:يا رب العالم، سوف أنزل وأبرّد وأنقذ الصديق الصالح من الفرن. فاستجاب الله له:أنا فريد في عالمي، وإبراهيم هو فريد في عالمه، ومن المناسب أن ينقذ الفريدُ الفريدَ" (تلمود بابلي، الفصح (فصحيم)، ١١٨أ). وتم إنقاذ إبراهيم بأعجوبة، وكان سلوك إبراهيم في هذه المحنة ما يميّزه من كل المتقين من قبله، وذلك بأنه كان مستعدًا للتضحية بنفسه لتقديس اسم الله.

يمكن فهم عظمة إبراهيم وإيمانه بالله بما حاول أن يفعل له الملك نمرود. ففي ذلك الحين، لم يتحدث إبراهيم بعد مع الله، ولم تكن لديه فكرة حول الوصية لتقديس اسم الله عن طريق التخلي عن الحياة، ولم يكن له أي مثال يهديه. واستطاع إبراهيم أن يصل إلى إدراك وجود الخالق الوحيد من غير النبوة من الله، وحقق إبراهيم ذلك من خلال التأمل في السبب والنتيجة

في الكون. فكانت هذه العملية العقلية هي التي أدت به إلى الوعي إلى وجود الإله الواحد، ومكّنته من أن يطور علاقته الشخصية مع الله سبحانه وتعالى.

أمر الله إبراهيم عليه السلام بمغادرة أور الكلدنيين:

وردًّا على التزام إبراهيم الثابت بالأخلاق التوحيدية، ظهر المولى تعالى لإبراهيم وأمره بمغادرة منزله للسفر إلى أرض أخرى من أجل إنشاء المطالبة بالوطن المستقبلي لأمة بني إسرائيل.

وَقَالَ الرَّبُّ لإبراهيم: «اتْرُكْ أَرْضَكَ وَعَشِيرَتَكَ وَبَيْتَ أَبِيكَ وَاذْهَبْ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ إيّاها...» (سفر التكوين ١٢، ١). فسافر إبراهيم إلى حاران حيث قام وأكد بقوة وبصوت عال للعالم كله بأن هناك إلهًا واحدًا في الكون يجب على الناس أن يعبدوه وحده.

ولما نادى الله إبراهيم كان يشبه قارورة عطر مغلقة بإحكام ومخزونة في الزاوية، وما أن تم نقلها من هذا المكان حتى تنفتح وتبدأ رائحته بالانتشار. وقال الله لإبراهيم: «فيك حسنات كثيرة. قم بالسفر من مكان إلى مكان، وسوف تنتشر عظمتك في العالم، وأنا سوف أجعل منك أمة عظيمة» (ميدراش تكوين الكبير، ٣٩: ٢).

وكانت مغادرة إبراهيم من أور الكلدانيين محنة من المحن العشر التي امتحنه الله بها. وكان تحدي إبراهيم في هذه المحنة أن يتخلّى عن ماضيه كله، وأن يترك والده المسن ووطنه ليذهب إلى أرض جديدة يقوده إليها الله. ووفقا للحاخام موسى بن ميمون في كتابه دلالة الحائرين (٣: ٢٤) كان الغرض من هذه المحن إظهار للعالم كيف يطيع رجل عظيم الله. وهكذا أصبح أداء إبراهيم العبري تحت الضغط الشديد العبرةَ لبقية البشر في الطاعة المخلصة.

قبل أن يذهب إبراهيم إلى العالم الواسع، كان الله ذا السيادة في السماء فقط، لكن بعدما ذهب إبراهيم إلى العالم الواسع، استطاع أن يعلن سيادة الله على كل من السماء والأرض (كتاب سيفري، عن سفر التثنية، ٣١٣). ولذلك يفهم اليهود أن العالم كله برأه ألله سبحانه وتعالى من

أجل إبراهيم. ورمْز ذلك هو أن حروف اسم إبراهيم تشمل كلمة برأ (ميدراش تكوين الكبير، ٨٠: ١٢).

كان إبراهيم مثل خليل الملك: رأى الخليل الملك يمشي في الأزقة المظلمة وبدأ الخليل إنارة الطريق للملك من خلال نافذة. وقال الملك عندما رآه: بدلا من إنارة الطريق لي من خلال النافذة، قم بإنارته في مكان وجودي في أرض إسرائيل (ميدراش تكوين الكبير، ٣٠: ١٠).

وسافر إبراهيم من مدينة إلى مدينة ومن مملكة إلى مملكة حتى وصل إلى أرض كنعان، ولم يعرف إبراهيم الوجهة التي قصد الله أن يصل إليها، لأن الله لم يخبره بها. لذلك كانت المسافرة صعبة عليه، لكن كان عدم يقينه متمشيًا مع إرادة الله، الذي أراد أن يعطي إبراهيم أكبر ثواب ممكن مقابل إيمانه به. وكان الناس يتجمعون حوله ويسألونه عن تعاليمه، وكان إبراهيم يعلّم كل واحد منهم فردًا فردًا حسب مستوى فهمه حتى عاد كل واحد منهم إلى الطريقة إلى الحقيقة. واستمر إبراهيم أن يفعل ذلك حتى كان له عشرات الآلاف من الأتباع (كتاب التثنية، شرائع تجريم عبادة الأصنام، ١: ٣).

صفات إبراهيم عليه السلام

كان إبراهيم معروفًا باسم العِبْرِي، وهذه الكلمة من الجذر اللغوي بالعبرية (عبر) الذي يعني: جانب، بمعنى أن إبراهيم جاء من الجانب الآخر من النهر (تفسير راشي لسفر التكوين ١٤، ١٣). وهذا المعنى يعكس معارضة إبراهيم تجاه الوثنية عندما كان الجميع يعبدون الأوثان. فكان العالم برمته على جانب واحد، وكان إبراهيم على الجانب الآخر (ميدراش تكوين الكبير ٤٢، ٨).

وكانت لكل من أجداد اليهود – أي، إبراهيم وإسحق ويعقوب – صفته الخاصة الرئيسية. وكانت صفة إبراهيم الرئيسية أنه عمل أعمال النعمة والبر للآخرين بالحب غير المشروط. ومن

يمتلك هذه الصفة يحاول معرفة وسد احتياجات الآخرين، ولا يسلك مدفوعًا بالأنانية أو شفقة، بل استنادًا إلى الرغبة الحقيقية في مساعدة الآخرين ماديًّا أو روحيًّا. تختلف هذه الصفة عن الرحمة. فيتصرف الشخص الرحيم استجابة لمعاناة الشخص الآخر. والرحمة هي واحدة من أعلى الصفات في سلم القيم اليهودية. ومع ذلك، تشوبها بعض الأنانية، فيساعد الشخص الرحيم شخصًا آخرًا عندما يرى معاناته، وقد لا يساعده إذا كان لا يرى معاناته. فيسعى الشخص الذي يرغب في عمل أعمال النعمة والبر إلى معرفة من بحاجة إلى المساعدة، ومن ثم يمد العون بمبادرة استباقية وليس كرد فعل.

وهكذا كان يفعل إبراهيم: كان يجلب الناس لمنزله، ويمنحهم الطعام والشراب، وأصبح صديقًا لهم، وبالتالي جذبهم إلى الإيمان بالله الواحد وأحضرهم تحت أجنحة السكينة، ومن يفعل ذلك لشخص واحد هو بمثابة خالق هذا الشخص (ميدراش تكوين الكبير ٣٩: ٨).

وقد تميز إبراهيم من كل الناس بأنه قام بأعمال النِعمة والبَر للآخرين، فَقَالَ الرَّبُّ: «... وَإبراهيم لاَ بُدَّ أَنْ يُصْبِحَ أُمَّةً كَبِيرَةً وَقَوِيَّةً، وَبِهِ تَتَبَارَكُ شُعُوبُ الأَرْضِ جَمِيعًا، لأَنَّنِي قَدِ اخْتَرْتُهُ لِيُوْصِيَ بَنِيهِ وَأَهْلَ بَيْتِهِ منبَعْدِهِ كَيْ يَحْفَظُوا طَرِيقَ الرَّبِّ، عَامِلِينَ الْبِرَّ وَالْعَدْل» (سفر التكوين، ١٨، ١٨–١٩). ومن خلال هذه الوصية أتى إبراهيم بالسلام للعلاقات بين أفراد المجتمع لأنهم كانوا يمارسون أعمال البر والنعمة بعضهم بعضًا في طاعة ما وصاهم به إبراهيم. ومن خلال ذلك، وحّد إبراهيم كل الخلق وأصبح هو «أَبٌ لِجُمْهُور الأمم» يهدي كل أمم العالم إلى الصراط المستقيم في علاقاتهم الاجتماعية التكافلية.

وبفضل إبراهيم بدأ الناس ينادون باسم الله. فاستضاف إبراهيم المسافرين المارين عليه وأعطاهم الأكل والشراب، وبعدما أكلوا وشربوا، وقفوا ليبارك إبراهيم وقال لهم: هل كان الطعام الذي أكلتموه طعامي؟ ذلك الطعام هو من الله. قم بشكر، وحمد، ومباركة الله، الذي تكلم لإخراج العالم إلى حيز الوجود (تلمود بابلي، سوطة، ١٠ب).

وعندما وصل إبراهيم وأهل بيته إلى أرض كنعان، انتقلوا من مكان إلى مكان في جولة حتى جاؤوا شكيم. وقال الله سبحانه وتعالى لإبراهيم أنه قد خصص أرض كنعان لذريته: وَظَهَرَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ وَقَالَ لَهُ: «سَأُعْطِي هَذِهِ الأَرْضَ لِذُرِّيَّتِكَ» فَبَنَى أَبْرَامُ هُنَاكَ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ الَّذِي ظَهَرَ لَهُ (سفر التكوين ١٢، ٦–٧). وبعد ذلك سافر إبراهيم جنوبًا إلى النقب.

تواضع إبراهيم وعفة سارة: وبعد وصوله إلى أرض كنعان بوقت قصير، واجه إبراهيم وأهل بيته المجاعة التي أجبرتهم على السفر إلى مصر للإقامة الوجيزة. وَعَمَّتْ تِلْكَ الْبِلاَدَ مَجَاعَةٌ، فَانْحَدَرَ أَبْرَامُ إِلَى مِصْرَ لِيَتَغَرَّبَ فِيهَا؛ لأَنَّ الْمَجَاعَةَ كَانَتْ شَدِيدَةً فِي الأَرْضِ. وَمَا إِنِ اقْتَرَبَ من تُخُومِ مِصْرَ حَتَّى قَالَ لِزَوْجَتِهِ سَارَايَ: «أَنَا أَعْرِفُ أَنَّكِ امْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ، فَمَا إِنْ يَرَاكِ الْمِصْرِيُّونَ حَتَّى يَقُولُوا: هَذِهِ هِيَ زَوْجَتُهُ، فَيَقْتُلُونَنِي وَيَسْتَحْيُونَكِ؛ لِذَلِكَ قُولِي إِنَّكِ أُخْتِي، فَيُحْسِنُوا مُعَامَلَتِي من أَجْلِكِ، وَتَنْجُوَ حَيَاتِي بِفَضْلِكِ» (سفر التكوين ١٢، ١٠–١٣).

ويتعلم اليهود من هذه الآيات أن كان من فضائل إبراهيم وزوجته سَارَايَ (اسمها قبل ما غيّره الله إلى سارة) أنهما التزما بالتواضع التام. فقال إبراهيم لزوجته: «أَنَا أَعْرِفُ أَنَّكِ امْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ» ويمكن الاستنباط من هذا القول أن إبراهيم لم يلاحظ جمالها (!) من قبل بسبب تواضعهم العظيم (ميدراش تكوين الكبير، ٥٣: ٩).

وَلَمَّا اقْتَرَبَ أَبْرَامُ من مِصْرَ اسْتَرْعَى جَمَالُ سَارَايَ أَنْظَارَ الْمِصْرِيِّينَ، وَشَاهَدَهَا أيضًا رُؤَسَاءُ فِرْعَوْنَ فَأَشَادُوا بِهَا أَمَامَهُ. فَأُخِذَتِ الْمَرْأَةُ إِلَى بَيْتِ فِرْعَوْنَ. وبقيت هي عفيفة وعندما عرف فرعون أنها زوجة إبراهيم، قال له:«خُذْهَا وَامْضِ فِي طَرِيقِكَ...» وَأَوْصَى فِرْعَوْنُ رِجَالَهُ بِأَبْرَامَ، فَشَيَّعُوهُ وَامْرَأَتَهُ وَكُلَّ مَا كَانَ يَمْلِكُ (سفر التكوين ١٢، ١٤–٢٠).

وَغَادَرَ أَبْرَامُ مِصْرَ وَتَوَجَّهَ هُوَ وَزَوْجَتُهُ وَلُوطٌ وَكُلُّ مَا كَانَ لَهُ، نَحْوَ مِنْطَقَةِ النَّقَبِ... وَكَانَ لِلُوطٍ الْمُرَافِقِ لأَبْرَامَ غَنَمٌ وَبَقَرٌ وَخِيَامٌ أيضًا... فَضَاقَتْ بِهِمَا الأَرْضُ لِكَثْرَةِ أَمْلاَكِهِمَا... فَقَالَ أَبْرَامُ لِلُوطٍ: «لاَ يَكُنْ نِزَاعٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَلاَ بَيْنَ رُعَاتِي وَرُعَاتِكَ لأَنَّنَا نَحْنُ أَخَوَانِ. أَلَيْسَتِ الأَرْضُ كُلُّهَا

أَمَامَكَ؟... فَاخْتَارَ لُوطٌ لِنَفْسِهِ حَوْضَ الأُرْدُنِّ كُلَّهُ وَارْتَحَلَ شَرْقًا. حَيْثُ نَصَبَ خِيَامَهُ بِجُوَارِ سَدُومَ (سفرالتكوين ١٣، ١– ١٣).

شجاعة إبراهيم عليه السلام وإنصافه:

وَحَدَثَ حينئذ أن نشبت الحرب بين أربعة من الملوك في المنطقة وبين خمسة من الملوك الآخرين، بما فيهم ملك سدوم، واندحر هؤلاء الخمسة وتم أسر لوط، ابن أخي إبراهيم. فلما سمع ذلك إبراهيم، أرسل ٣١٨ من غلمانه المدربين...وَهَاجَمَهُمْ وَقَهَرَهُمْ... وَاسْتَرَدَّ كُلَّ الْغَنَائِمِ، وَاسْتَرْجَعَ ابْنَ أَخِيهِ لُوطًا... وَجَاءَ مَلِكُ سَدُومَ لِلِقَاءِ أَبْرَامَ... وَقَالَ مَلِكُ سَدُومَ لأَبْرَامَ: «أَعْطِنِي الأَسْرَى الْمَعْتُوقِينَ أَمَّا الْغَنَائِمُ فَاحْتَفِظْ بِهَا لِنَفْسِكَ». فَأَجَابَهُ أَبْرَامُ: «لَقَدْ أَقْسَمْتُ بِالرَّبِّ... أَلاَّ آخُذَ شَيْئًا مِمَّا هُوَ لَكَ... غَيْرَ مَا أَكَلَهُ الْغِلْمَانُ. أَمَّا نَصِيبُ الرِّجَالِ الَّذِينَ ذَهَبُوا مَعِي...فَإِنَّهُمْ يَأْخُذُونَهُ» (سفر التكوين،١٤، ١ – ٢٤).

تكشف هذه الأيات عن جانب جديد من طبيعة إبراهيم، أي شجاعته البدنية في المعركة. كان لوط يسكن بطمأنينة في سدوم قبل ما سقط ضحية للحرب التي خاضتها الممالك الكبرى في المنطقة. كان يتمتع أعداء إبراهيم بالتفوق العددي. على رغم من ذلك، حشد إبراهيم أتباعه وخاضوا المعركة لإنقاذ لوط. وانتصر إبراهيم بأعجوبة، ورفض قبول أي شيء من الغنائم، وإن كانت من حقه أن يأخذ نصيبه بموجب القوانين المرعية وقتئذ. وهكذا أظهر إبراهيم مرة أخرى شخصيته النبيلة.

وقلق إبراهيم من نتائج الحرب حتى بعد نصره. فخاف من أنه قد قتل شخصًا صالحًا كان يتقي الله. وقال الله سبحانه وتعالى له إن ما فعله في القضاء على الملوك الأعداء هو في سبيل الله، لأن هؤلاء الملوك كانوا بمثابة الأشواك في بستان الملك وكان لا بد من تطهيرهم منه. كما خاف إبراهيم من أن الممالك التي قد قتل ملوكها ستتضافر لتخوض الحرب ضده. فقال الله له:

لا تخف، أنا ترس لك، حتى لو كانت كل السيوف تأتي ضدك، وحتى لو كانت جميع الأمم تأتي ضدك، سوف نقاتلها!

كما خاف إبراهيم من أن انتصاره ضد الملوك كان في الواقع ثوابه من الله في الدنيا ولن يعطيه الله الثواب في الآخرة. وقَالَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ فِي الرُّؤْيَا: «لاَ تَخَفْ يَاأَبْرَامُ. أَنَا تُرْسٌ لَكَ. وَأَجْرُكَ عَظِيمٌ جِدًّا» (سفر التكوين ١٥، ١)، أي، كم وافر الخير الذي كنز الله لمن يتّقيه. وكلمة ترس باللغة العبرية: مَجَن، التي معناها باللغة الآرامية مجانًا، أي أن الثواب في هذه الدنيا لمن يفعل أعمال النعمة والبر هو مجانًا ولا ينتقص من ثوابه في الآخرة، لأن ألله سبحانه وتعالى خلق العالم بالنعمة، ومن يعمل أعمال النعمة والبر للآخرين فيستحق له أن يحظي بالثواب في هذه الدنيا والثواب في الآخرة أيضًا.

وبعد هذه الحوادث، رأى إبراهيم أن أبن أخيه قد انصرف عنه، ولم يتوقع إبراهيم بأن تلاميذه سيستمرون في التمسك تمامًا بالعقيدة التي كان يدعو إليها. ففكر أنه ستكون كل البركات التي أعطاها الله إياه عبثا إذا لم ينجب ولدًا. فكان ملتزمًا التزامًا شديدًا بنشر الإيمان بالله والولاء لتعاليمه ولم يعرف من سيتابع مهمته من بعده. فَقَالَ أَبْرَامُ: «أَيُّهَا السَّيِّدُ الرَّبُّ: أَيُّ خَيْرٍ فِيمَا تُعْطِينِي وَأَنَا منغَيْرِ عَقِبٍ وَوَارِثُ...» فَأَجَابَهُ الرَّبُّ: «... الَّذِي يَخْرُجُ منصُلْبِكَ يَكُونُ وَرِيثَكَ» (سفر التكوين ١٥، ٢ – ٤). وقال الله لإبراهيم: انْظُرْ إِلَى السَّمَاءِ وَعُدَّ النُّجُومَ إِنِ اسْتَطَعْتَ ذَلِكَ». ثُمَّ قَالَ لَهُ: «هَكَذَا يَكُونُ نَسْلُكَ». (سفر التكوين ١٥، ٥)... و فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ عَقَدَ اللهُ مِيثَاقًا مَعْ أَبْرَامَ قَائِلًا: «سَأُعْطِي نَسْلَكَ هَذِهِ الأَرْضَ...» (سفر التكوين ١٥، ١٨).

محنة إبراهيم عليه السلام الكبرى

واعترفت سارة بأنها كانت عقيمًا. لذلك اقترحت لإبراهيم أن يتزوج هاجر وهي جارية لها. وأخذ إبراهيم هاجر وأنجبت له ابنًا سماه إسماعيل.

وَعِنْدَمَا كَانَ أَبْرَامُ فِي التَّاسِعَةِ وَالتِّسْعِينَ منعُمْرِهِ، ظَهَرَ لَهُ الرَّبُّ قَائِلًا: «...أَجْعَل عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَأَكثر نَسْلَكَ جِدًّا».... هَذَا هُوَ عَهْدِي الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَبَيْنَ ذُرِّيَّتِكَ منبَعْدِكَ الَّذِي عَلَيْكُمْ أَنْ تَحْفَظُوهُ: أَنْ يُخْتَنَ كُلُّ ذَكَرٍ مِنْكُمْ تَخْتِنُونَ رَأْسَ قُلْفَةِ غُرْلَتِكُمْ فَتَكُونُ عَلاَمَةَ الْعَهْدِ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ تَخْتِنُونَ عَلَى مَدَى أَجْيَالِكُمْ كُلَّ ذَكَرٍ فِيكُمُ ابْنَ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ...أَمَّا سَارَايُ زَوْجَتُكَ... وَأُبَارِكُهَا وَأُعْطِيكَ ابْنًا مِنْهَا... فَانْطَرَحَ إبراهيم عَلَى وَجْهِهِ وَضَحِكَ قَائِلًا فِي نَفْسِهِ: «أَيُوْلَدُ ابْنٌ لِمَنْ بَلَغَ الْمِئَةَ منعُمْرِهِ؟ وَهَلْ تُنْجِبُ سَارَةُ وَهِيَ فِي التِّسْعِينَ من عُمْرِهَا؟» سفر التكوين!

وعندما كان إبراهيم لا يزال يتعافى من الختان الذي أمره ألله به، لم يكن هناك ناس في المنطقة المجاورة. أي لم يكن هناك المسافرون الذين يمكن لإبراهيم أن يحسن الضيافة لهم، مثلما دفعته طبيعته أن يفعل.

عرف إبراهيم أن البشر هو المستفيد الرئيسي من نعمة وبر الله. واستنتج من ذلك أنه من مشيئة الله أن يتمتع البشر بالسعادة في جميع جوانبها. وقد أدرك إبراهيم أن البشر يجب أن يقتدوا بصفات الله. ولذلك ينبغي أن يذهب إلى أبعد الحد في بذل الجهود ليضفي السعادة على الناس الآخرين، تماما كما يفعل الله. لذلك كان يتوق إبراهيم جدًّا إلى معجزة حيث سيأتي بعض المسافرين ليكونوا ضيوفه. لم يحتاج أحد إلى نعمة إبراهيم، بل كان إبراهيم يحتاج إلى شخص ليضفي عليه النعمة. فقد تعلم إبراهيم هذا من خالقه تعالى. لكنه لم يوجد أي واحد يخرج بسبب حرارة ذلك اليوم. ومن أجل منح إبراهيم هذه الفرصة ليضفي النعمة، بعث الله إليه ثلاثة ملائكة، فَأَسْرَعَ لاسْتِقْبَالِهِمْ... وَقَالَ: «يَا سَيِّدِي، إِنْ كُنْتُ قَدْ حَظِيْتُ بِرِضَاكَ فَلاَ تَعْبُرْ عَنْ عَبْدِكَ. بَلْ دَعْنِي أُقَدِّمُ لَكُمْ بَعْضَ مَاءٍ تَغْسِلُونَ بِهِ أَرْجُلَكُمْ وَتَتَّكِئُونَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، ثُمَّ آتِي لَكُمْ بِلُقْمَةِ خُبْزٍ تُسْنِدُونَ بِهَا قُلُوبَكُمْ، وَبَعْدَ ذَلِكَ تُوَاصِلُونَ مَسِيرَتَكُمْ، لأَنَّكُمْ قَدْ مِلْتُمْ إِلَى بَيْتِ عَبْدِكُمْ» (سفر التكوين). وشكلت ممارسة حسن الضيافة التي وضعها إبراهيم جزءا من نظامه للاقتداء بالله! وهو أيضًا آلية رائعة للمحافظة على المجتمع البشري وارتقائه، بما يتفق مع خطة الخالق بأن يعيش البشر ليس فقط كالفرد بل في المجتمع أيضًا!

وبالتالي، كان إبراهيم ليس فقط كبيرًا كمعلم بل كان كبيرًا كممارس أيضًا. فقام بأعمال النعمة عن طريق حفر الآبار لتوفير المياه للمسافرين، وزرع البساتين لصالحهم. وقدم لهم الطعام والسكن. وكل ما فعله

إبراهيم، سواء في التجارة أو في المعركة أو في أداء الواجبات المنزلية، كان في سبيل الله. وكان يقتدي به أهل بيته ويساعدوه في كل هذه الأمور.

وَافْتَقَدَ الرَّبُّ سَارَةَ كَمَا قَالَ، وَأَنْجَزَ لَهَا مَا وَعَدَ بِهِ. فَحَبِلَتْ سَارَةُ وَوَلَدَتْ لإبراهيم فِي شَيْخُوخَتِهِ ابْنًا... فَدَعَا إبراهيم ابْنَهُ الَّذِي أَنْجَبَتْهُ لَهُ سَارَةُ «إسحق» (سفر التكوين).

المحنة الكبرى لإيمان إبراهيم عليه السلام بالله:

وَبَعْدَ هَذَا امْتَحَنَ اللهُ إبراهيم... فَقَالَ لَهُ: «خُذِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ، إِسْحقَ الَّذِي تُحِبُّهُ، وَانْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ الْمُرِيَّا وَقَدِّمْهُ قربانًا عَلَى أَحَدِ الْجِبَالِ الَّذِي أَهْدِيكَ إِلَيْهِ» (سفر التكوين).

وَلَمَّا بَلَغَا الْمَوْضِعَ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ اللهُ شَيَّدَ إبراهيم مَذْبَحًا هُنَاكَ، وَنَضَّدَ الْحَطَبَ، ثُمَّ أَوْثَقَ إِسْحقَ ابْنَهُ وَوَضَعَهُ عَلَى الْمَذْبَحِ فَوْقَ الْحَطَبِ. وَمَدَّ إبراهيم يَدَهُ وَتَنَاوَلَ السِّكِّينَ لِيَذْبَحَ ابْنَهُ. فَنَادَاهُ مَلاَكُ الرَّبِّ مِنَ السَّمَاءِ قَائِلًا:... «لاَ تَمُدَّ يَدَكَ إِلَى الصَّبِيِّ، وَلاَ تُوْقِعْ بِهِ ضُرًّا لأَنِّي عَلِمْتُ أَنَّكَ تَخَافُ اللهَ، وَلَمْ تَمْنَعِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ عَنِّي». وَإِذْ تَطَلَّعَ إبراهيم حَوْلَهُ رَأَى خَلْفَهُ كَبْشًا قَدْ عَلِقَ بِفُرُوعِ أَشْجَارِ الْغَابَةِ، فَذَهَبَ وَأَحْضَرَهُ وَأَصْعَدَهُ قربانًا عِوَضًا عَنِ ابْنِهِ (سفر التكوين).

وعندما وعد الله لإبراهيم ثوابًا عظيمًا، أجاب إبراهيم أن الثواب لن يكون له معنى بدون أن يكون له ابن. فكان أمله الوحيد في الحياة أن يكون له ابن سيحافظ على تعاليم الله والممارسات التي وصى بها، كي يتم إنشاء أمة تراعي هذه التعاليم والممارسات بالإخلاص. وكان ذلك ما دفعه في كل ما قام به، ليس الثواب العظيم الذي أنتظره في الآخرة. لذلك عندما أمره الله بأن يقدم ابنه قربانًا، كان استعداد إبراهيم ليخدم الله بتضحية ابنه إسحق استثنائيًا للغاية، لأن تدمير ابنه كان مفاده تدمير مستقبل الأمة المقدسة الذي كان يحاول أن ينشئها وإحباط مهمة هذه الأمة في إظهار مجد الله، وفي تبرير خلق الكون. وسيكون ذلك أسوأ مأساة لإبراهيم.

ذبح إسحق هو العكس تمامًا من طبيعة وقيم إبراهيم:

فَهَمَ إبراهيم أن جميع الأفلاك السماوية والمساحات الواسعة من الكون يكون لها غرض واحد، وهو البشر. وأدرك أن حياة الفرد الواحد تبرر برء الكون كله وأن الألوهية توجد في الإنسان وأن الإنسان يعكس صفات الله. وبالتالي اعتقد إبراهيم أن تسبيب الحزن للإنسان هو بمثابة إلقاء الظلام والحزن على الكون

كله. وكان ذبح إسحق من أصعب المحن التي واجهها أي فرد من أي وقت قد مضى. فحياة كل فرد ثمينة للغاية، وكم من ذلك حياة ابنه. تجرأ إبراهيم على مساومة الله قي إنقاذ قوم سدوم الأشرار من الدمار (سفر التكوين)، على الرغم من أن قوم سدوم كانوا يعارضون كل ما قدمه إبراهيم من تعاليم. وكان إبراهيم يحب الناس حبًّا كبيرًا، لكن حبه لابنه كان أشد بكثير من حبه للآخرين. لم يكن هناك أي أب يحب ابنه بقدر ما أحب إبراهيم إسحق. ومن المستحيل وصف ما شعر به إبراهيم – سيد النعمة – من عناء عندما كان يعد ابنه للذبح. لذلك ليس هناك مثيل لمحنة ذبح إسحق في الأعمال العظيمة للبشرية. امتحن الله إبراهيم بهذه المحنة ليس لاكتشاف ماهية نفسه، وإنما لمساعدته على الارتفاع إلى مستوى أعلى من العظمة. بعد هذه المحنة، قَالَ تعالى: «الآن عَلِمْتُ أَنَّكَ تَخَافُ اللهَ وَلَمْ تَمْنَعِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ عَنِّي» (سفر التكوين). فقد تغلب إبراهيم على طبيعته التي تسودها النزعة ليحب بلا مقابل وليعمل أعمال النعمة والبر. فأخضع إرادته وتمنياته لإرادة الله وحكمته، وأظهر أنه يخشى الله، وأنه يقتنع بأن الهدف الأعلى للبشر هو قبول الحكمة الإلهية كونها الحقيقة الوحيدة. اعترف إبراهيم بأن كل ما يأمر به الله هو ما يحدد الأخلاق، حتى لو كان يستعصي فهم ذلك عن قدرة البشر.

وَقَالَ (تعالى): «هَا أَنَا أُقْسِمُ بِذَاتِي يَقُولُ الرَّبُّ: لأَنَّكَ صَنَعْتَ هَذَا الأَمْرَ، وَلَمْ تَمْنَعِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ عَنِّي، لأُبَارِكَنَّكَ وَأُكثرنَّ ذُرِّيَّتَكَ فَتَكُونُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ وَكَرَمْلِ شَاطِئِ الْبَحْرِ، وَتَرِثُ ذُرِّيَّتُكَ مُدُنَ أَعْدَائِهَا. وَبِذُرِّيَّتِكَ تَتَبَارَكُ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ، لأَنَّكَ أَطَعْتَنِي» (سفر التكوين).

إبراهيم بعد وفاة سارة عليهما السلام:

بعد ذلك، ماتت سارة، ودفنها إبراهيم في حبرون (الخليل) في مغارة المكفيلة الذي اشتراها من عفرون الحثي. ثم أرسل إبراهيم خادمه أليعازر لإيجاد زوجة لابنه إسحق، وعاد أليعازر بريبيكا، التي أصبحت زوجة إسحق. وتزوج إبراهيم مرة أخرى لقطورة، التي هي هاجر (؟!) وأنجبت لإبراهيم هذه المرة ستة أبناء، وأرسلهم إبراهيم شرقا بعد ما أعطاهم الهدايا.

«ثُمَّ مَاتَ (إبراهيم) بِشَيْبَةٍ صَالِحَةٍ وَانْضَمَّ إِلَى أَسْلاَفِهِ، فَدَفَنَهُ ابْنَاهُ إِسْحقُ وَإِسْمَاعِيلُ فِي مَغَارَةِ الْمَكْفِيلَةِ...» (سفر التكوين).

قال الحاخام حنان ابن رابا في اسم الحاخام راب: في اليوم الذي توفى الله إبراهيم أبونا فيه، تصافقت كافة الشخصيات العظماء من امم العالم وقالوا: ويل للعالم الذي فقد زعيمه وويل للسفينة التي فقدت قائدها (تلمود بابلي، بابا بترا).

كان إبراهيم بصيرًا جدًّا وكرس حياته بحماس لتحويل العالم إلى ساحة لقداسة الله. وكان مبادرة إبراهيم الروحية هي البداية الحقيقية للتاريخ اليهودي. وتوجد في كل يهودي شرارة من إبراهيم. فمن الممكن لهذه الشرارة أن تقدح أعمال النعمة التي من خلالها يمكن مواجهة الأنانية والكراهية والجشع، وبالتالي الحفاظ على الرابط بإبراهيم وتعاليمه.

ملخص الرؤية اليهودية لإبراهيم عليه السلام:

- هو عليه السلام محترم مبجل في العقيدة اليهودية، ويعدونه الجد لجميع الأديان التي تعتنق التوحيد. ويشير اليهود إليه باسم: أبونا إبراهيم؛ لأنهم يعتبرونه الأب الروحي للشعب اليهودي.
- وكان إبراهيم بمثابة النور الجديد الذي بدأ يتألق على الإنسانية، بعد فشل عشرين جيلا من البشر,
- إبراهيم كان وثنيًّا يعبد الأصنام مع قومه.
- كان ذكيًّا لماحًا، ووصل بعقله المجرد – وقبل أن ينبّأ – إلى حقيقة وجود الرب الواحد..
- لم يكن إبراهيم عليه السلام فقط رجل دين، بل كان مفكرًا عظيمًا أيضًا. وكان من أكثر الرجال علمًا في العصور القديمة، وكان أعظم من كلهم، بما فيهم نوح عليه السلام، فقيل في التوراة إن إبراهيم سار أمام الله بينما سار نوح مع الله؛ إذ احتاج نوح إلى المساعدة من الله لكي يكون صالحًا، بينما عزز إبراهيم نفسه ليكون صالحًا، ونجح في ذلك بحكم جهوده الخاصة! بل لم يقبل حماية الله تعالى إياه؛ فحمى هو نفسه!
- وطوّر إبراهيم نظامًا عظيمًا ومتميزًا للتفكير وممارسة البر والنعمة بطريقة ليس لها نظير في التاريخ. فارتقى وزوجته سارة إلى ذروة العظمة الحقيقية، وأصبحا من بين أعلى الأنبياء. واستحق أفراد آخرون من بيت إبراهيم الحالة النبوية أيضًا، وإن بدرجة أقل، بما فيهم هاجر جارية سارة!
- وكان إبراهيم أول من أشار إلى الله باسم: رب!

- وفيه قصته مع النمرود شبه كبير بما ورد في القرآن والسنة،
- وردًّا على التزام إبراهيم الثابت بالأخلاق التوحيدية، ظهر المولى تعالى لإبراهيم وأمره بمغادرة منزله للسفر إلى أرض أخرى من أجل إنشاء المطالبة بالوطن المستقبلي لأمة بني إسرائيل.
- وكانت مغادرة إبراهيم من أور الكلدانيين محنة من بين المحن العشر التي امتحنه الله بها. وكانت تحدي إبراهيم في هذه المحنة أن يتخلّى عن ماضيه كله، وأن يترك والده المسن ووطنه ليذهب إلى أرض جديدة يقوده إليها الله. ووفقا للحاخام موسى بن ميمون في كتابه دلالة الحائرين (٣: ٢٤) كان الغرض من هذه المحن إظهار للعالم كيف يطيع رجل عظيم الله. وهكذا أصبح أداء إبراهيم العبري تحت الضغط الشديد العبرةَ لبقية البشر في الطاعة المخلصة.
- قبل أن يذهب إبراهيم إلى العالم الواسع، كان الله ذا السيادة في السماء فقط، لكن بعدما ذهب إبراهيم إلى العالم الواسع، استطاع أن يعلن سيادة الله على كل من السماء والأرض (!)
- وأعطاه الله ميثاقًا بأن نسله سيرثون الأرض حول سدوم وكان بغير ولد آنذاك، وَعِنْدَمَا كَانَ أَبْرَامُ فِي التَّاسِعَةِ وَالتِّسْعِينَ من عُمْرِهِ، ظَهَرَ لَهُ الرَّبُّ قَائِلًا: «...أَجْعَل عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَأكثر نَسْلَكَ جِدًّا»....هَذَا هُوَ عَهْدِي الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَبَيْنَ ذُرِّيَّتِكَ منبَعْدِكَ الَّذِي عَلَيْكُمْ أَنْ تَحْفَظُوهُ: أَنْ يُخْتَتَنَ كُلُّ ذَكَرٍ مِنْكُمْ تَخْتِنُونَ رَأْسَ قُلْفَةِ غُرْلَتِكُمْ فَتَكُونُ عَلاَمَةَ الْعَهْدِ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ تَخْتِنُونَ عَلَى مَدَى أَجْيَالِكُمْ كُلَّ ذَكَرٍ فِيكُمُ ابْنَ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ...أَمَّا سَارَايُ زَوْجَتُكَ... وَأُبَارِكُهَا وَأُعْطِيكَ ابْنًا مِنْهَا... فَانْطَرَحَ إبراهيم عَلَى وَجْهِهِ وَضَحِكَ قَائِلًا فِي نَفْسِهِ: «أَيُوْلَدُ ابْنٌ لِمَنْ بَلَغَ الْمِئَةَ منعُمْرِهِ؟ وَهَلْ تُنْجِبُ سَارَةُ وَهِيَ فِي التِّسْعِينَ من عُمْرِهَا؟»
- وكانت محنته الكبرى في ذبح ابنه إسحق عليه السلام: وَبَعْدَ هَذَا امْتَحَنَ اللهُ إبراهيم...قَالَ لَهُ: «خُذِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ، إِسْحقَ الَّذِي تُحِبُّهُ، وَانْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ الْمُرِيَّا وَقَدِّمْهُ قربانًا عَلَى أَحَدِ الْجِبَالِ الَّذِي أَهْدِيكَ إِلَيْهِ» وقد تجرأ إبراهيم على مساومة الله بذلك القربان الغالي قي إنقاذ قوم سدوم الأشرار من الدمار، فكان أن قال الله (تعالى): «هَا أَنَا أُقْسِمُ بِذَاتِي يَقُولُ الرَّبُّ: لأَنَّكَ صَنَعْتَ هَذَا الأَمْرَ، وَلَمْ تَمْنَعِ ابْنَكَ

وَحِيدَكَ عَنِّي، لأُبَارِكَنَّكَ وَأُكثرنَّ ذُرِّيَّتَكَ فَتَكُونُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ وَكَرَمْلِ شَاطِئِ الْبَحْرِ، وَتَرِثُ ذُرِّيَّتُكَ مُدُنَ أَعْدَائِهَا. وَبِذُرِّيَّتِكَ تَتَبَارَكُ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ، لأَنَّكَ أَطَعْتَنِي»

- «ثُمَّ مَاتَ (إبراهيم) بِشَيْبَةٍ صَالِحَةٍ وَانْضَمَّ إِلَى أَسْلاَفِهِ، فَدَفَنَهُ ابْنَاهُ إِسْحقُ وَإِسْمَاعِيلُ فِي مَغَارَةِ الْمَكْفِيلَةِ...»
- وكرس حياته بحماس لتحويل العالم إلى ساحة لقداسة الله. وكان مبادرة إبراهيم الروحية هي البداية الحقيقية للتاريخ اليهودي.

الرؤية المسيحية لإبراهيم عليه السلام:

الرؤية المسيحية لإبراهيم عليه السلام:

تقترب الرؤيان اليهودية والنصرانية من الرؤية الإسلامية، وتكاد الرؤيان تتطابقان حول الخليل عليه السلام، بحكم استقائهما من نبع واحد؛ إلا أن هناك اختلافات مهمة يمكن أن تلحظ، منها:

- اعتقاد المسيحيين أن سارة كانت أخت إبراهيم عليه السلام من أبيه، رغم تباعد الأجيال عن آدم عليه السلام (عشرين جيلا كما قالت التوراة فيما سبق)!
- إقرارهم بتوحيد إبراهيم عليه السلام، وعدم وجود رائحة للتثليث، كما في معتقد موسى وأنبياء بني إسرائيل كلهم، الأمر الذي يتناقض مع تثليثهم وشركهم، كما يلي:
- (أما إبراهيم فقد آمن بالإله الواحد مالك السماء والأرض وإلههما (تك 14: 22-24: 3)!
- وهو ديان الأمم وكل الأرض (تك 15: 14-18: 25)..
- وهو الذي كل قوات الطبيعة طوع أمره ولا يستحيل عليه شيء (تك 18: 14-19: 24-20: 17-18)!
- وهو الإله العلي المرتفع (تك 14: 22)..
- وهو سرمدي أبدي (تك21: 33)

فتأمل: هل يقول الله تعالى إنه واحد على لسان الأنبياء كلهم، ثم يصير ثلاثة عند عيسى عليه السلام وحده في زعمهم؟!

- قولهم إنه عليه السلام أظهر ضعفًا مرتين عندما لم يقل الحق كله! في ذكر علاقة سارة زوجته به (تك12: 18-20: 11).
- لم يرسم اليهود صورًا لإبراهيم عليه السلام في فنونهم كما فعل المسيحيون، وهم في الجملة يجلون أنبياءهم عن التصوير، سواء في لوحات، أو أصنام، أو في السينما، في حين يجترئ المسيحيون على ذلك، ويتوسعون فيه بشكل مسيء جدًّا.
- تحدثت كنيسة تكلا عن كارثة مروعة وصفها بعضهم بأنها شبيهة بانقلاب بركاني، أو بانفجار ذريع في جوف الأرض، اندلعت منه نيران ولهب، ارتفعت في الجو، ثم نزلت على الناس نزول المطر، ونتيجة

لذلك خربت تلك البقاع وبقيت بلقعًا خاليًا خاويًا مدة قرون عديدة، وهي – والله أعلم – ما أنزله الله تعالى بقوم لوط من العقاب، كما جاء في كتاب الله تبارك وتعالى.

وتعال معي أقرأ لك من موقع كنيسة القديس تكلا الأرثوذكسي ما ورد في المعتقد النصراني عن خليل الرحمن عليه السلام (بتصرف يسير):

- هو أبونا إبراهيم، ومعنى أبرام الأب الرفيع" أو الأب المكرّم" ومعنى إبراهيم أو رهام" أي أبو جمهور" (تك17: 5).
- كانت حياة إبراهيم وهو فيما بين النهرين خمسة وسبعين عامًا. وهو ابن تارح Terah من نسل سام بن نوح، وقد عاش إبراهيم الجزء الأول من حياته مع أبيه وإخوته في أور الكلدانيين، وقد تزوج من ساراي، وكانت أخته بنت أبيه، وليست بنت أمه كما نعرف ذلك من تك 20: 12.
- وبعد موت أخيه هاران، رحل هو وزوجته وتارح أبوه ولوط ابن أخيه من أور، ليذهبوا إلى أرض كنعان (تك 11: 27–31) بناء على أمر الرب كما أشار على ذلك استيفانوس (انظر أعمال7: 2–**4**) فأتوا وأقاموا في حاران حيث مات تارح (تك 11: 31–4–32)..
- ولما كان إبراهيم في الخامسة والسبعين من عمره رحل هو وزوجته ولوط من حاران إلى أرض كنعان بناء على أمر الرب (تك12: 1) ويحتمل أنهم ذهبوا عن طريق دمشق لأن أليعازر الدمشقي الموكل على بيتِه كان من هناك (تك 15:2).
- أقام إبراهيم أولًا في شكيم (تك 12: 6) ثم ذهب إلى بيت إيل (تك 12: **8**) وارتحل منها إلى أرض الجنوب (تك 12: 9) وحدث جوع في الأرض فارتحل من هناك إلى مصر (تك 12: 10)..
- وهناك، خوفًا على حياته، ذكر لفرعون أن ساراي Sarai أخته دون أن يذكر أنها زوجته (تك 12: 11–20) ثم من هناك عاد إلى أرض الجنوب في فلسطين (تك13: 1) وذهب من هناك إلى بيت إيل (تك 13: 3) ثم افترقا هو ولوط بسبب كثرة أملاكهما. فاختار لوط Lot أن يذهب إلى أرض دائرة الأردن (تك 13: 5–12) أما إبراهيم Abraham فسكن في أرض كنعان ونقل خيامه وأتى وأقام عند بلوطات ممرا، وبقي هناك سنوات عديدة (تك 13: 12–13–18).

- وأثناء إقامته عند بلوطات ممرا عمل عهدًا مع ملوك الأموريين (تك 14:13). وشن كدرلعومر ملك عيلام وحلفاؤه حربًا على ملوك الأموريين، فانتصر عليهم وسبى لوطًا، ولكن إبراهيم كسرهم واسترجع لوطًا والنساء وكل الأملاك (تك 14: 1–16)!
- وعند عودته استقبله ملكي صادق ملك شاليم، فأعطاه إبراهيم عشرًا من كل شيء وبارك ملكي صادق إبراهيم (تك 14: 17–24) وقد وعده الرب حينئذ بوارث، فصدق وعد الرب وآمن به فحسبه له برًّا، وقد وعده الرب بميراث أرض كنعان، وأيد له هذا الوعد بعهد (تك ص15).
- وأخذ إبراهيم هاجر جاريته المصرية زوجة فولدت له إسماعيل (تك 16) ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر له الرب وغير اسمه من أبرام إلى إبراهيم، ووضع له الختان علامة للعهد، وغير اسم ساراي امرأته إلى سارة Sarah، وكشف له مضمون العهد أن النسل الوارث سيكون من سارة، وسيدعى اسمه إسحق Isaac ويقيم الرب معه العهد (تك – 17). ثم أعلن الرب لإبراهيم خراب سدوم وعمورة بسبب شرهما، فتشفع إبراهيم لأجل الأبرار هناك فأنقذ الرب لوطًا بيد ملاكين (تك 18–19).

صورة في موقع الأنبا تكلا: نسب إبراهيم: زوجات إبراهيم النبي الثلاثة وأولادهم: في المنتصف نجد إبراهيم مع سارة و إسحق، وإلى اليسار هاجر و إسماعيل، وإلى اليمين قطورة وأبنائها الستة زمران، يقشان، مدان، مديان، يشباق، شوحا. والصورة من فينيس هاجاداه، 1609 (حاليًا في مكتبة جامعة ييل)، غير معروف المصدر !وأملاكه،

- ومن عند بلوطات ممرا انتقل إبراهيم على أرض الجنوب وهناك أرسل أبيمالك ملك جرار وأخذ سارة لأن إبراهيم قال إنها أختي، ولكن الرب ظهر لأبيمالك في حلم ولم يدعه يمسها. ولما عاقبه الرب على أخذه سارة ردها إلى إبراهيم. وصلى إبراهيم لأجله ولأجل بيته فرفع العقاب عنه (تك – 20).
- وافتقد الرب سارة فحبلت، وولدت لإبراهيم ابنًا في شيخوخته لما كان ابن مئة سنة. ودعا اسمه إسحق، وختن إبراهيم إسحق ابنه (تك 21:1–8).
- وقد ألحت عليه سارة من جهة هاجر وابنها فسمح له الرب بإبعادهما فأبعدهما (تك 21: 9–21) وبعد ذلك عمل إبراهيم عهدًا مع أبيمالك عند بئر دعيت فيما بعد بئر سبع (تك 21: 22–34).
- ولما كبر إسحق أراد الرب أن يمتحن إبراهيم فأمره بأن يذهب إلى أرض المريا ويصعد ابنه محرقة هناك. وإذ كان على وشك تقديمه ذبيحة ناداه ملاك الرب قائلًا:لا تمد يدك إلى الغلام ولا تفعل شيئًا" فرفع إبراهيم عينيه ونظر، فإذا كبش وراءه ممسكًا في الغابة بقرنيه، فأخذ إبراهيم الكبش، وأصعده محرقة عوضًا عن ابنه، وبعد ذلك ذهبا معًا إلى بئر سبع (تك22: 1–9).

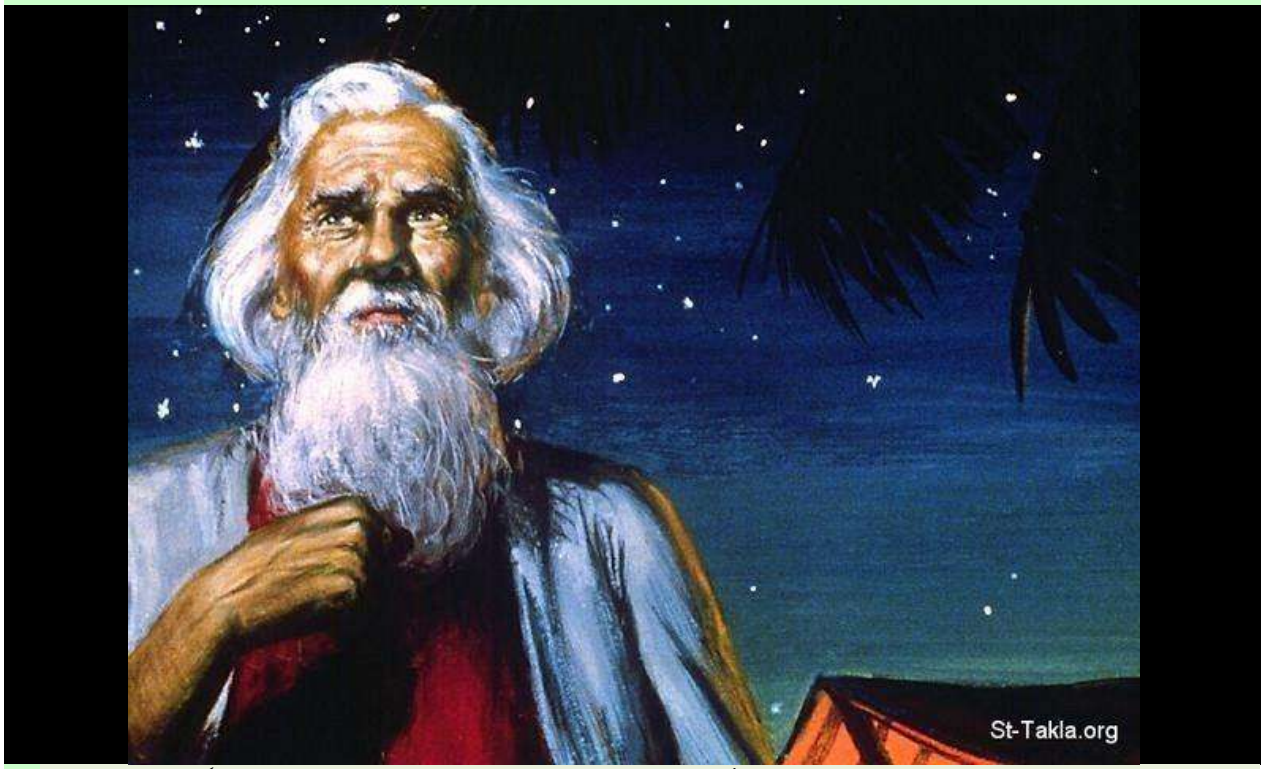

صورة في موقع الأنبا تكلا: مباركة إبراهيم، العهد مع اللهأُبَارِكُكَ مُبَارَكَةً، وَأُكَثِّرُ نَسْلَكَ تَكْثِيرًا كَنُجُومِ السَّمَاءِ وَكَالرَّمْلِ الَّذِي عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ، وَيَرِثُ نَسْلُكَ بَابَ أَعْدَائِهِ" (سفر التكوين 22: 17)!

- ثم رجعوا إلى حبرون وهناك ماتت سارة، وكانت سنو حياتها مئة وسبعًا وعشرين، ودفنها إبراهيم في قبر في مغارة المكفيلة التي اشتراها من بني حث (تك –23).

- وبعد ذلك أرسل إبراهيم أليعازر الدمشقي إلى ما بين النهرين، لكي يحضر لابنه زوجة من عشيرته فأحضر له رفقة بنت بتوئيل. وقابلها إسحق عند بئر لحي رئي، فاتخذها إسحق لنفسه زوجة، وكان حينئذ ابن أربعين سنة (تك –24–25: 20).
- وبعد موت سارة أخذ إبراهيم لنفسه زوجة اسمها قطورة Keturah (تك 25: 1–5) ومات أبونا إبراهيم لما كانت أيام سني حياته مئة وخمسًا وسبعين سنة ودفن في مغارة المكفيلة (تك 25:7–10).

ثانيًا: إيمان إبراهيم:

كان آباء إبراهيم يعبدون آلهة غير الرب (يشوع 24: 2–14) فكانوا في أور الكلدانيين يعبدون آلهة كثيرة وبنوع خاص نانار" إله القمر وزوجته ننجال" وكان في أور على مرتفعة عالية بناء يشبه الهرم يسمى باللغة البابلية زجوراة" وفوق الزجوراة" معبد للإله نانار".

أما إبراهيم فقد آمن بالإله الواحد مالك السماء والأرض وإلههما (تك 14: 22–24: **3**) وديان الأمم وكل الأرض (تك 15: 14–18: 25) والذي كل قوات الطبيعة طوع أمره ولا يستحيل عليه شيء (تك 18: 14–19: 24–20: 17–18) وهو الإله العلي المرتفع (تك 14: 22) وهو سرمدي أبدي (تك 21: 33) ولم يكن الله لإبراهيم الإله الواحد فحسب بل كانت لإبراهيم معه علاقة شخصية وشركة روحية قوية (تك24: 14) ولذلك نال إبراهيم لقبخليل الله" الذي ذكر في الكتاب ثلاث مرات (2 أخبار 20: 7 واش 41: 8 ويع2: 23)..

أما صفات الله التي نسبها إبراهيم إليه فهي: العدل (تك 18: 25) – البر (تك **18**: 19) – الأمانة واللطف والحق (تك 24: 27)– الحكمة والرحمة (قارن تك 20: 6) وقد آمن إبراهيم أن الله يطلب من البشر أن يتصفوا بالصفات الخلقية التي لله (تك 18: 19) وقد أعلن الله ذاته لإبراهيم في الرؤى والأحلام (تك 15: 1–20: 3) والظهور في شكل إنسان أو في شخص ملاك الرب (تك 18: 1–22: 11) وحيثما سكن إبراهيم كان يقيم مذبحًا للرب ويدعو باسمه (تك 12: 7–8) وقد قدم صلوات تشفعية

لأجل الآخرين؛ ففي تك 17: 20 صلى لأجل إسماعيل وفي تك 18: 23-32 تشفع لأجل لوط، قارن هذا مع تك19: 20- وفي تك 20: 17 صلى لأجل أبيمالك وذلك لأنه عرف بأنه نبي.

وقد عمل إبراهيم عهوده ومواثيقه وأقسامه باسم الرب (تك14: 22- 21: 23-24: 3) وقد قدم عشوره لملكي صادق كاهن الله العلي (تك14: 20) وقد مارس الختان كعلامة للعهد مع الرب (17: 10-14)..

وكان إيمان إبراهيم عظيمًا إلى حد استعداده أن يقدم ابنه وحيده ذبيحة للرب، ولكن الرب منعه من ذلك (تك 22: 2-12).

وقد كانت حياة إبراهيم مع الناس مظهرًا لإيمانه بالله وقد ظهر هذا في كرمه (تك13: 9- 14: 23 الخ.) وإضافة الغرباء (تك 18: 2-8) وإخلاصه ووفائه وأمانته، وحنوه ورقة عاطفته (تك 14: 14-24-18: 23-32- 23: 29 وشجاعته (تك 14: 14-16)..

إلا أنه أظهر ضعفًا مرتين عندما لم يقل الحق كله في ذكر علاقة سارة زوجته به (تك 12: 18-20: 11).

مكانة إبراهيم في العهد الجديد:

يدعى إبراهيم في العهد الجديد أبًا لبني إسرائيل (أعمال 13: 26) والكهنوت اللاوي (عب7: 5) وأبًا للمسيح (مت 1:1) وغلاطية (3:16) وأبًا لكل المسيحيين كمؤمنين (غلاطية 3:29- ورومية 4: 11)

أما البركات التي بورك بها فقد وردت في العهد الجديد بأسماء متنوعة منها: الوعد (رومية 4: 13) وبركة (غلاطية 3: 14) ورحمة (لوقا 1: 54-55) والقسم (لوقا 1: 73) والعهد (أعمال 3: 25)..

وقد قال المسيح أن إبراهيم رأى يومه وفرح (يوحنا 8: 56)..

ويذكر العهد الجديد إبراهيم كمثال للتبرير بالإيمان (رومية 4: 3-11- 18) وكذلك ذكره كمثال للأعمال الصالحة التي بها أكمل الإيمان (يع 2: 21-23) وطاعة الإيمان (عب 11: 8-17) وقد أشار المسيح إلى مكانته السامية بين القديسين في السماء (مت 8: 11 ولو 13: 28- 16: 23-31).

رابعًا: إبراهيم والكشوف التاريخية الحديثة:

لا يمكن أن نعين على وجه التحديد التاريخ الذي عاش فيه إبراهيم ولكنه ولد، وفقًا للتاريخ الذي حسبه الأسقف اشر، حوالي سنة 1996 ق.م. وقد اكتشفت آثار ونقوش في بابل ترجع إلى ذلك العصر ووجد عليها اسم إبراهيم في هذه الصيغةأبرامو".ابمرام"–ابمراما". وقد أظهرت الكشوف التاريخية الحديثة الحالة التي كانت عليها مدينة أور التي خرج منها إبراهيم كما كانت حينئذ.

ويمكننا الآن أن نعرف من تلك الكشوف مقدار ما كانت عليه هذه المدنية من تقدم في المدينة، وكذلك يمكننا أن نعرف نوع الوثنية التي نشأ فيها إبراهيم في أور، والتي خرج منها بناء على دعوة إلهية. ويمكننا أن نعرف العلاقة التي كانت بين أور وحارا؛ لأن المدينتين كانتا تعبدان إلهًا واحدًا هو إله القمر. وكذلك أظهرت الكشوف أن بعض المدن القديمة القريبة من حاران كانت تحمل أسماء أفراد أسرة إبراهيم كما ورد ذكرها في الكتاب المقدس، فمن ضمن هذه مدن فالح وسروج وناحور وتارح (قارن هذه مع تك 11:

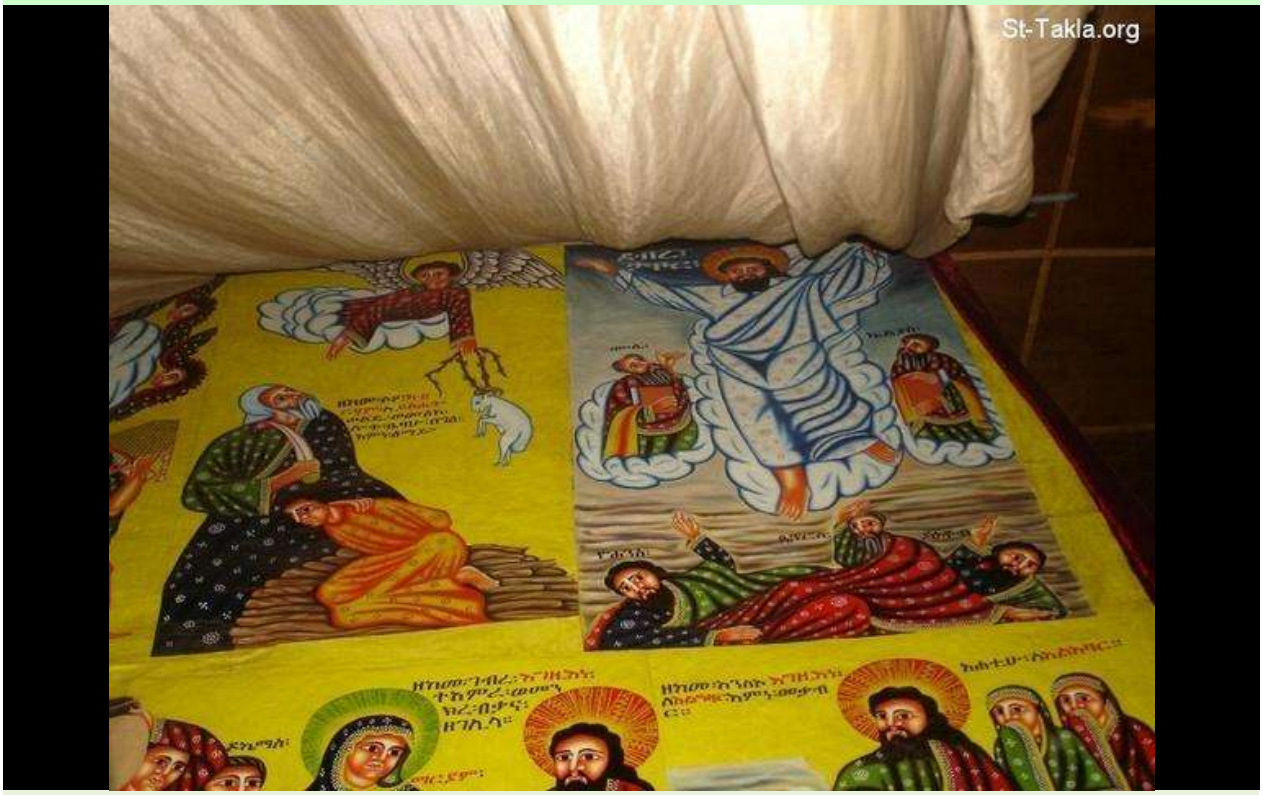

صورة في موقع الأنبا تكلا: حائط كنيسة الأنبا تكلا هيمانوت في جوندر، الحبشة، وبه أيقونات التجلي وتجربة إبراهيم بذبح إسحق، من صور رحلة موقع الأنبا تكلا لإثيوبيا عام 2008 – تصوير مايكل غالي لـ: موقع الأنبا تكلا، إبريل – يونيو 2008

..(26-16

وقد أظهرت عقود الزواج التي اكتشفت في مدينة نوزي في شمال ما بين النهرين أن العلائق التي كانت بين إبراهيم وسارة وهاجر كانت وفقًا للنظم – القوانين التي كانت سائدة في ذلك الحين في تلك البلاد.

ودلت الكشوف على أن كثيرين من ملوك بابل كانوا كانوا يقومون بحملات على كنعان في ذلك الحين. وكذلك دلت الكشوف والبحوث التاريخية على أن الأقاليم المجاورة للبحر الميت – أي أرض دائرة الأردن – كانت عامرة آهلة بالسكان إلى حوالي سنة 2000 قبل الميلاد. وبعد ذلك وقعت كارثة مروعة وصفها بعضهم بأنها شبيهة بانقلاب بركاني أو بانفجار ذريع في جوف الأرض اندلعت منه نيران ولهب ارتفعت في الجو ثم نزلت على الناس نزول المطر، ونتيجة لذلك خربت تلك البقاع وبقيت بلقعًا خاليًا خاويًا مدة قرون عديدة.

إبراهيم عليه السلام في الفن

إبراهيم عليه السلام في الفن

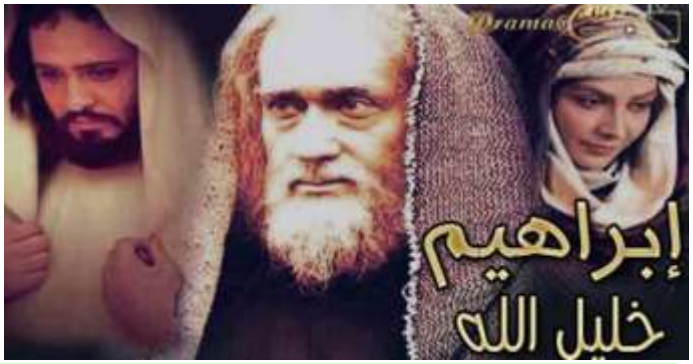

تكلمت في دراسة سابقة عن تحريم المجامع الإسلامية وكبار رموز الإسلام لرسم الأنبياء أو تجسيدهم في تماثيل بشكل قاطع، فضلًا عن تصويرهم مشخصين في أفلام؛ خصوصًا بصور تتنقصهم، وتسيء لهم.

ورغم هذا التحريم فقد انتشرت في الجناح الآسيوي من العالم الإسلامي – خصوصًا في الثقافة الرافضية والمغولية – رسوم الأنبياء، كما رسم بعض العلمانيين صورًا تخيلية لبعض الأنبياء مثل آدم مع حواء، وإبراهيم يذبح ابنه، وسليمان في ملكه، وغير ذلك عليه جميعًا الصلاة والسلام!

وأما في المواريث الأوربية فالتصوير شائع من قرون متطاولة، فقد جسدوا تماثيل لكبار أنبياء الله تعالى – عليهم السلام – عراة تمامًا، وصوروهم في الأفلام يسكرون ويزنون، وجسدوا عيسى عليه السلام شاذًّا جنسيًّا، كما رسموهم في الكنائس والأعمال الفنية، واستفادت المؤسسات الدينية بشكل هائل بكبار الفنانين التاريخيين كمايكل آنجلو، ودافنشي، ورمبرانت، وجويا، ودالي، وغيرهم، ليرسموا لوحات تجسد الرؤى التوراتية والإنجيلية للأنبياء في الكنائس، والمتاحف، والقصور، والقبور، والميادين، والمخطوطات والأعمال الفنية الأخرى!

كما جسدت السينما حياة الأنبياء بتمويل الكنيسة، أو تمويل تجار الإعلام، فمن المعروف أن الكنيسة تنتج أفلامها، ولها إصداراتها، والأيقونات والصور المقدسة مشتهرة، والمحلات التي تبيع الإله والأنبياء والقديسين واسعة الانتشار في الغرب حول الكنائس والكاتدرائيات!

ولأبدأ هنا بتصوير الأنبياء في البلاد الإسلامية أو المتأسلمة:

في مقال له حول صور الأنبياء على الشاشة... بين جدل الديني والفني كتب أ. حسين الرواشدة في الدستور الأردنية/ الاثنين، 20 يناير/كانون الثاني، 2014:

باستثناء النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ظهر معظم الأنبياء في أفلام قدمتها السينما العالمية، وكان أولهم سيدنا عيسى عليه السلام الذي خصصت له هوليوود منذ عشرينيات القرن الماضي عددًا من الأفلام، آخرهاآلام المسيح" الذي سجّل أرقامًا قياسية في الأرباح والمشاهدة!

الآن ثمة عودةسينمائية" لافتة إلى الدين، من خلال إنتاج أفلام بميزانيات ضخمة حول عدد من الأنبياء، وهذه العودة – بالمناسبة – لا تتعلق بالغرب وحده وإنما بعالمنا الإسلامي أيضًا، لكن الفارق أن السينما الغربية لا تجد أدنى حرج من تقديم مثل هذه الأفلام لمشاهديها، فيما لا يزال سؤالالحرام" يطارد أي محاولةإسلامية" لإنتاج كل ما يتعلق بالأنبياء، وحتى الصحابة الكرام أيضًا!

في هذا العام، سيكون متابعو أفلام هوليوود بانتظار خمسة أفلام تتحدث عن قصص مقتبسة من التوراة والإنجيل وفيها سيظهر عدد من الأنبياء مثل: نوح، موسى، وعيسى عليهم السلام إضافة إلى فيلمين عن مريم وآخر عن قابيل وهابيل، وربما يكون فيلم نوح الذي سيعرض منتصف هذا العام أكثر هذه الأفلام إثارة للجدل، سواء بسبب المشاهد التي قد تثير حفيظة المتدينين، أو بسبب الرؤية التي يقدمها حول النبي كمناصر للبيئة، وحو ل الفيضان كعقوبة لمن يسيء للنظام البيئي، كما يتوقع أن يثير فيلمان حول حياة سيدنا موسى هماالخروج من مصر" و"آلهة وملوك" ذات الجدل أيضًا.

على ضفة عالمنا العربي أيضًا، ثمة فيلمان إيرانيان – قيد الإنتاج – أحدهما عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، والآخر عن النبي سليمان عليه السلام. وثمة أفلام أخرى تتناول بعض الأنبياء مثل: النبي موسى، والنبي إبراهيم، والنبي أيوب عليهم السلام، ولكن – حتى الآن – لم يكشف مخرجو هذه الأفلام فيما إذا سيتم تجسيد شخصية الرسول من خلال أحد الممثلين أم لا، لا سيما وقد أصدر الأزهر وبعض المجامع الفقهية فتاوى تطالب بمنع عرض هذه الأفلام حفاظًا على صورة الرسل في أذهان المسلمين وتجنبًا لتشويهها والكذب عليها، علمًا بأن السينما الإيرانية قدمت العام الماضي شخصية الرسول يوسف عليه السلام، وشخصية مريم عليها السلام في أفلام حظيت بمباركة من قبل المرجعيات الشيعية، وانتقادات واسعة من قبل المرجعيات السنية!

..... يبقى أن عودة السينما للدين في هوليوود تحديدًا تحتاج إلى تفسير أيضًا، ومع أن صحيفة وول ستريت نقلت عن مخرجي ومنتجي هذه الأفلام الدينية أن الأحداث التي يشهدها العالم سواء في أوروبا أو

الشرق الأوسط من ثورات وتغيرات سياسية وأزمات اقتصادية دفعتهم للعودة إلى قصص الكتب المقدسة؛ لأنها تلهم الناس، وتجعلهم يستفيدون من المواعظ التي تتضمنها! إلا أن ثمة أسبابًا سياسية أعمق وتجارب أكثر أهمية، ربما أغرت هؤلاء على توظيف صورة الأنبياء لأغراض سياسية وأخرى ربحية؛ لا سيما إذا تذكرنا أنّ معظم هذه الأفلام تستقي قصصها من التوراة؛ ما دفع عدد من المحسوبين على اللوبي الصهيوني إلى إشهار احتفائهم بمثل هذه الأفلام؛ خاصة وأن هوليوود انحازت دائمًا في أفلامها ضد العرب والمسلمين لمصلحة إبراز صورة اليهودي الشجاع والضحية والمتحضر أيضًا!

سيدنا إبراهيم عليه السلام في فيلم شيعي:

للروافض غرائب أفكارهم، ومدهش فتاواهم، ومنها استباحة تجسيد الأنبياء، وتصويرهم لحمًا ودمًا، في حين أنهم لم يفعلوا هذا مع أئمتهم، فلم يجسدوا أحدًا منهم – فيما أعلم – بل كنوا عنه بنور ليس إلا، وكأنهم أجل من المرسلين الأطهار والأنبياء الأخيار عليهم السلام!

وقد أخرج الإيراني محمد رضا ورزاي فيلمًا عن (إبراهيم خليل الله) عليه السلام، من بطولة محمد صدقي، وبهراز فرحاني، وجنكيز وثايقي، وفخر الدين صديق، وليلى بلوكات!

ورغم اعتماد السيناريو على النص القرآني بشكل بارز، فلم يخل من مآخذ غبية تقتضيها الصنعة الفنية، فقد صوروا فيه لوطًا النبي الموحد عليه السلام ينحت بيده الأصنام بعد أن أجبره آزر على ذلك – والأنبياء مصطفون مصنوعون على عين الله تعالى – كما أقام الفيلم لقصة حب بين الشاب إبراهيم وابنة عمة سارة، ورسم صورة لعلاقة أثيمة بين امرأة النمرود وأحد أفراد حاشيته، ليكتشف النمرود الطاغية الباطش المدعي الربوبية ذلك، فيقتل امرأته، ويترك الوزير العشيق في خطوة براجماتية بحتة؛ لأنه كان في حاجة لخبرته ونصائحه، ثم يتخلص منه أواخر الفيلم!

وعن الفيلم ورد في موقع المسلم الذي يشرف عليه د. ناصر العمر، نقلا عن (المصريون) كتب أحدهم:

بعد رفض المغرب السماح لمخرج إيراني بتصوير فيلم على أراضيها يجسد شخصية النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم, ظهر في الأفق فيلم شيعي من إنتاج إيراني، مدته ساعتان، تبثه كافة المنابر الإعلامية الشيعية، يتم فيه تجسيد شخصية النبي الكريم إبراهيم عليه السلام.

وكان مسلسل أنتجه التلفزيون الإيراني وعرض على قنوات عربية الشهر الماضي، حول حياة النبي يوسف عليه السلام، قد تعرض لانتقادات واسعة، حيث تم تجسيد شخصية النبي يوسف عليه السلام في المسلسل. وفي الفيلم الأخير تم تجسيد شخصيتي النبيين الكريمين إسماعيل ولوط عليهما السلام، كما تم تجسيد شخصية السيدة سارة والسيدة هاجر رضي الله عنهما، وصوت سيدنا جبريل عليه السلام! بجانب أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام, وجميعهم قام بتجسيدهم ممثلون وممثلات إيرانيون.

يشار إلى أن الشيعة يبالغون في أفلامهم ومسلسلاتهم في تعظيم أئمتهم، حيث لا يجرؤ ممثل أو مخرج شيعي على تجسيد أحد أئمة الشيعة، ويظهرون الشخصية في صورة نور يتحرك بلا صوت؛ بخلاف ما يحدث مع الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام.

وقد حفل الفيلم الأخير بالعديد من التجاوزات منها: عرض عدة مشاهد إعجاب عاطفي متبادل بين النبي إبراهيم عليه السلام والسيدة سارة رضي الله عنها قبل أن يتزوجا!

يشار إلى أن المنتج الشيعي لهذا الفيلم المسيء لأنبياء الله، بصدد بث فضائية خاصة بالأفلام والمسلسلات الشيعية عبر القمرين الصناعيين: النايل سات، والعرب سات، منتصف هذا الشهر.

وكان مجمع البحوث الإسلامية التابع للأزهر قد أكد مؤخرًا على حرمة تجسيد الأنبياء عليهم السلام، وكبار الصحابة رضي الله عنهم في الأعمال الدرامية؛ نظرًا لما لهم من منزلة عالية في نفوس المسلمين.

وأما في الرسوم فقد رسم الإيرانيون من قديم صورًا للأنبياء ومنهم الخليل إبراهيم عليهم جميعًا الصلاة والسلام، كما في الرسوم التالية لحادثة الذبح:

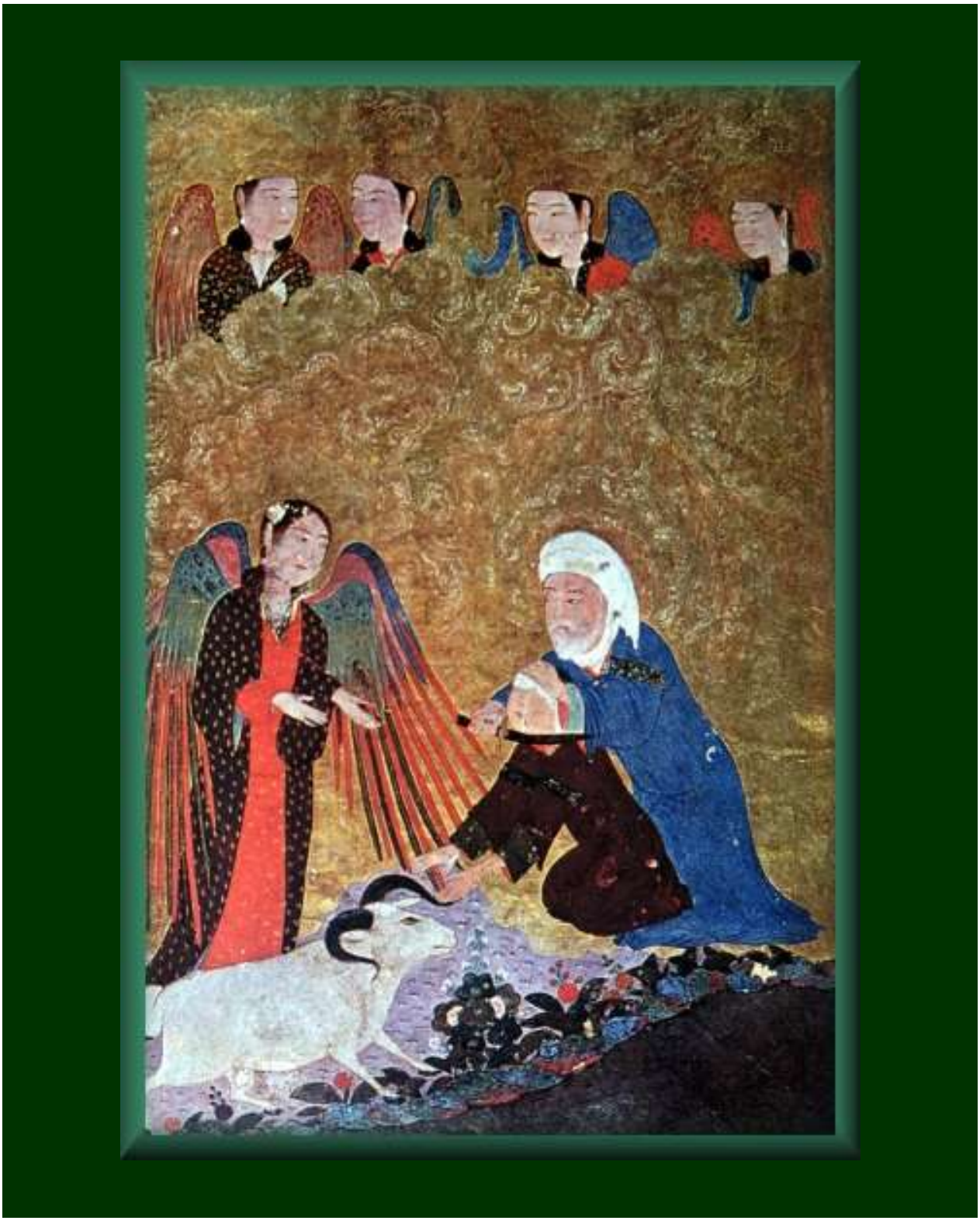

وأما في الفنون الأوربية (الرسم والنحت) فهو (تيمة) أساسية في الأعمال الفنية، وأعرض هنا بعض الأعمال التي تتحدث عنها رسمًا:

Abraham and the Angels by Aert de Gelder c. 1680–85.

إبرااهيم عليه السلام مع الملائكة الثلاثة.. وفي الأسفل صورة أخرى لجيمس تيسو 1896

Abraham and the Three Angels watercolor circa 1896–1902 by James Tissot.

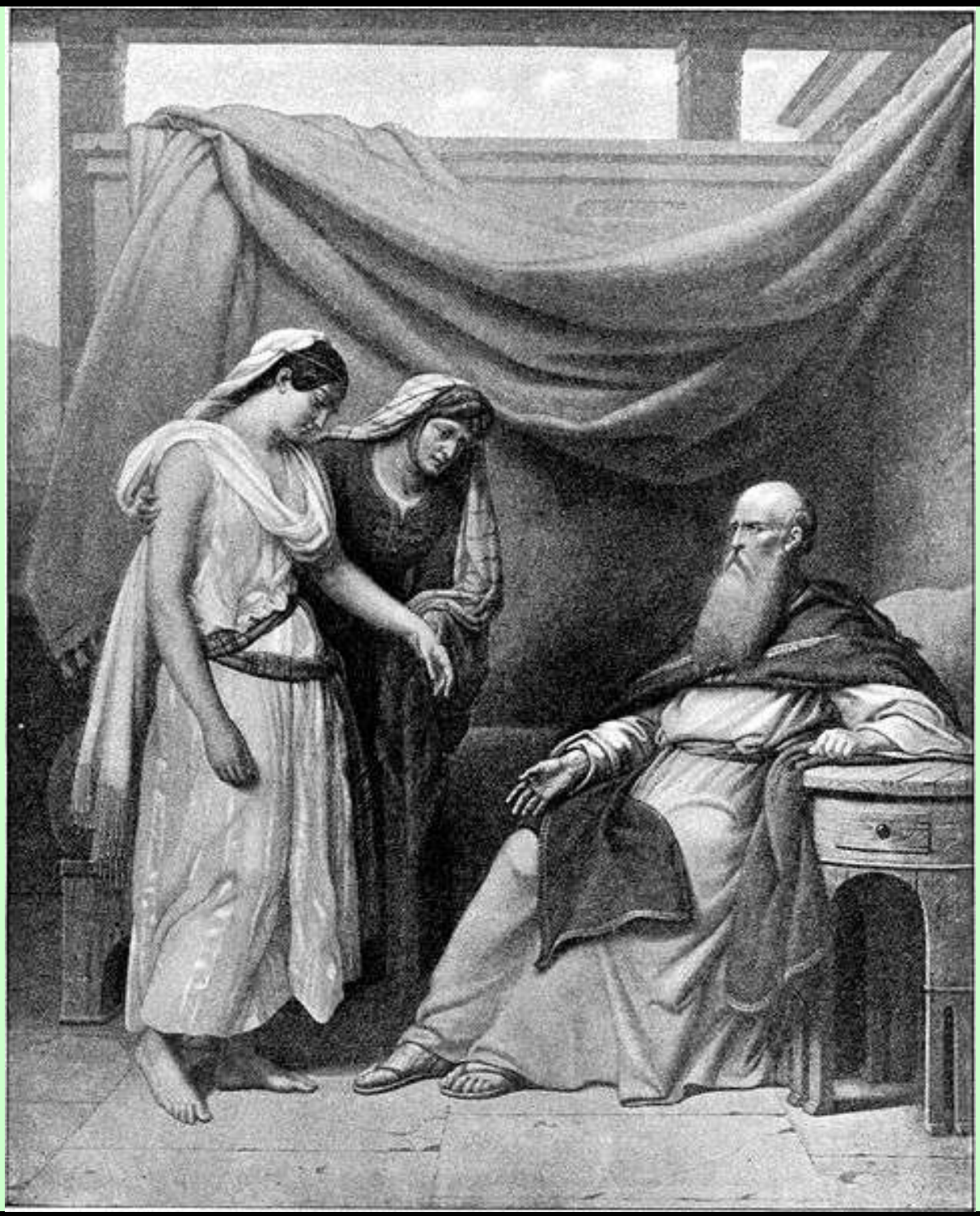

Abraham, Sarah and Hagar, imagined here in a Bible illustration from 1897.

رسم تخيلي لإبراهيم وسارة وهاجر عليهم السلام/ 1897.

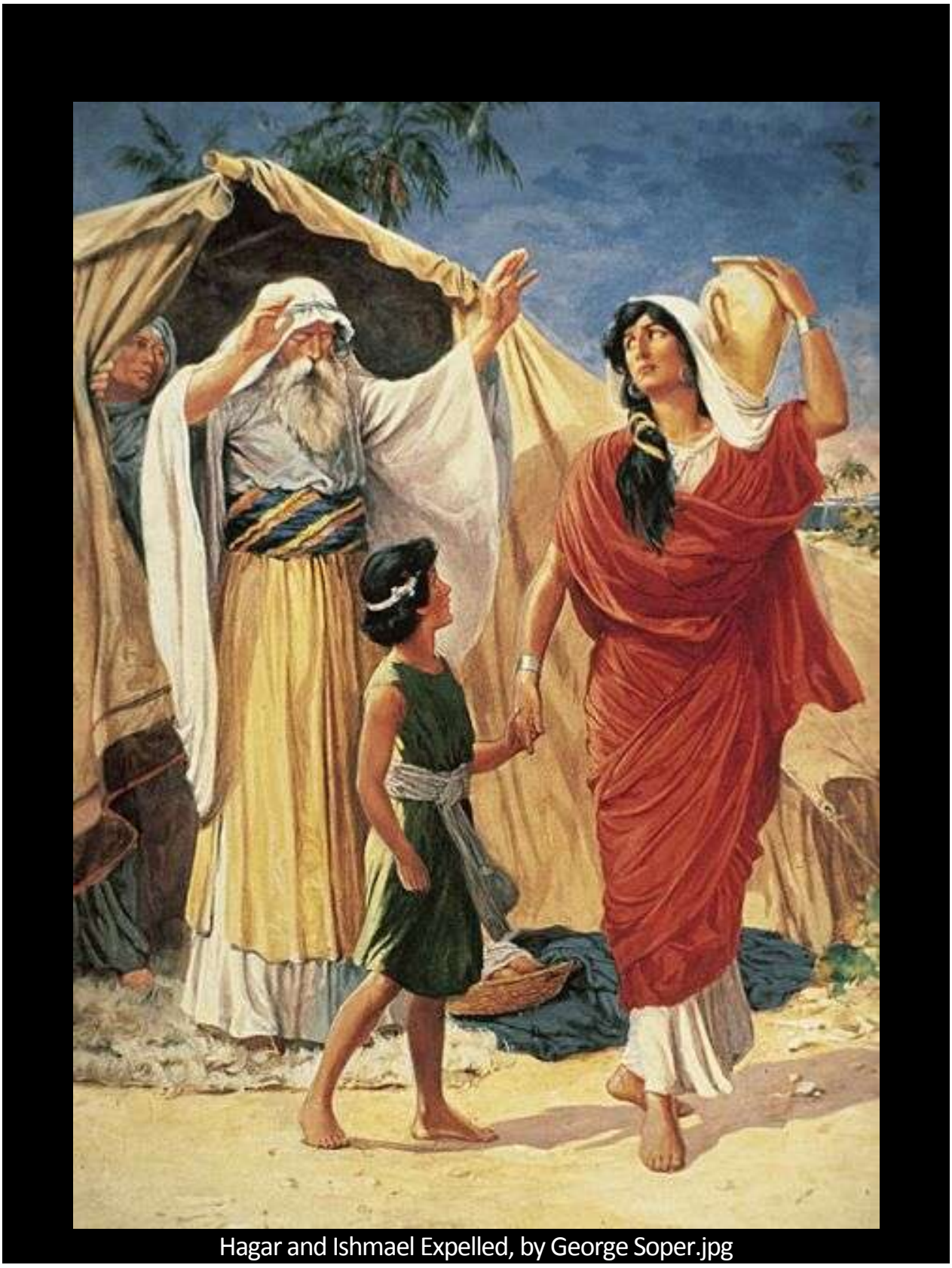

Hagar and Ishmael Expelled, by George Soper.jpg

إبراهيم يطرد هاجر وإسماعيل عليهم السلام.. رسم جورج سوبر

The Sacrifice of Isaac. The hand of God originally came down to hold Abraham's knife.

التضحية بإسحق.. ويد الرب تهبط لتمسك بالسكين حتى لا يذبحه!

Sacrifice of Isaac by Rembrandt 1635

التضحية بإرسماعيل هليه السلام.. بريشة رمبيرانت 1635

Wenceslas Hollar - Abraham and Lot separating

إبراهيم ولوط عليهما السلام عند افتراقهما

Tissot Abraham Sees Sodom in Flames.

لوحة لتيسو حين كان إبراهيم عليه السلام يرى سدوم وقد عبها الله بالحرق

Tissot_Abram's_Counsel_to_Sarai.

صورة لتيسو: إبراهيم وسارة عليهما السلام يتشاوران

_Oak_of_Mamre_circa شجرة البلوط المقدسة، يعتقدون أن النبي إبراهيم وزوجته استظلا بها

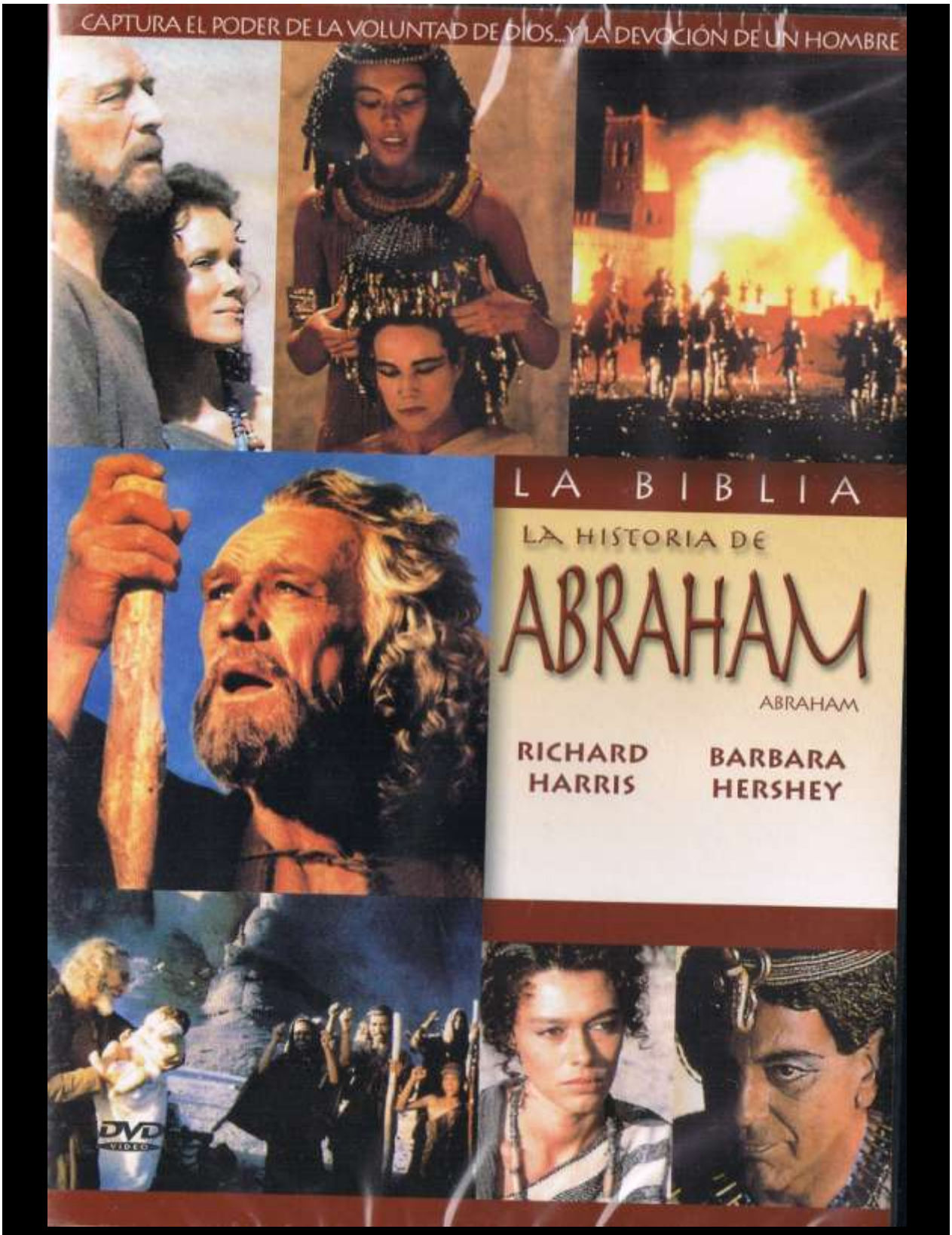

تتر فيلم أبراهام!

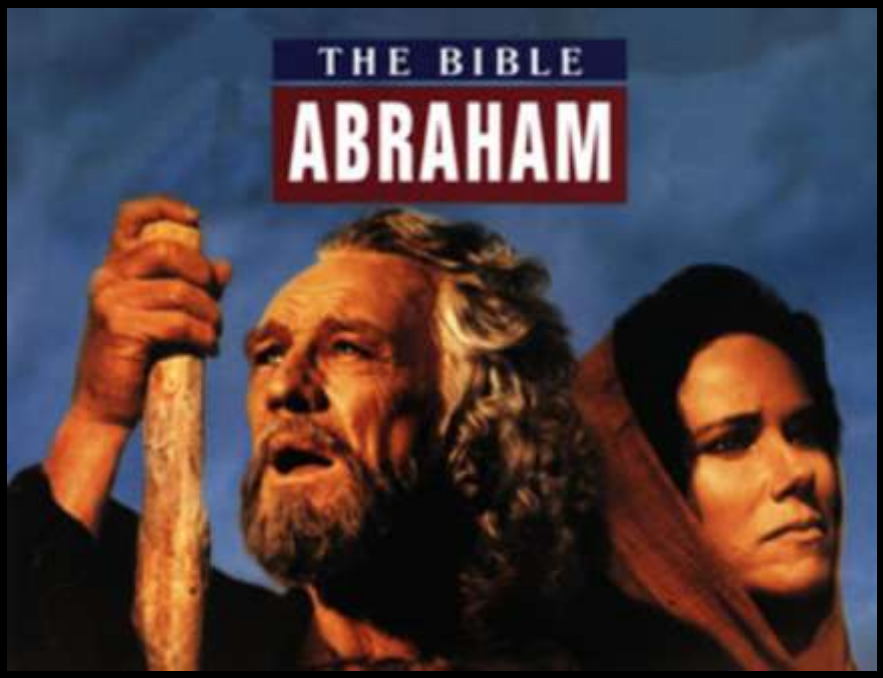

ما يزعم أنه قلعة النمرود

Brit_ben_habetarim جبل مشهد الطير الإبراهيمي جبل بيتاريم هي إحدى قمم جبل الشيخ وطبقًا للثقافة اليهودية، يعتبر هذا موقع ميثاق الأطراف بين إبراهيم والله عز وجل

في مسجد الخليل فتحة ينظر منها الزائرون ليروا حيث كان إبراهيم يتعبد على عمق 400 قدم!